

المهاجم الحربية

موضوعات وألفاظاً

دكتور

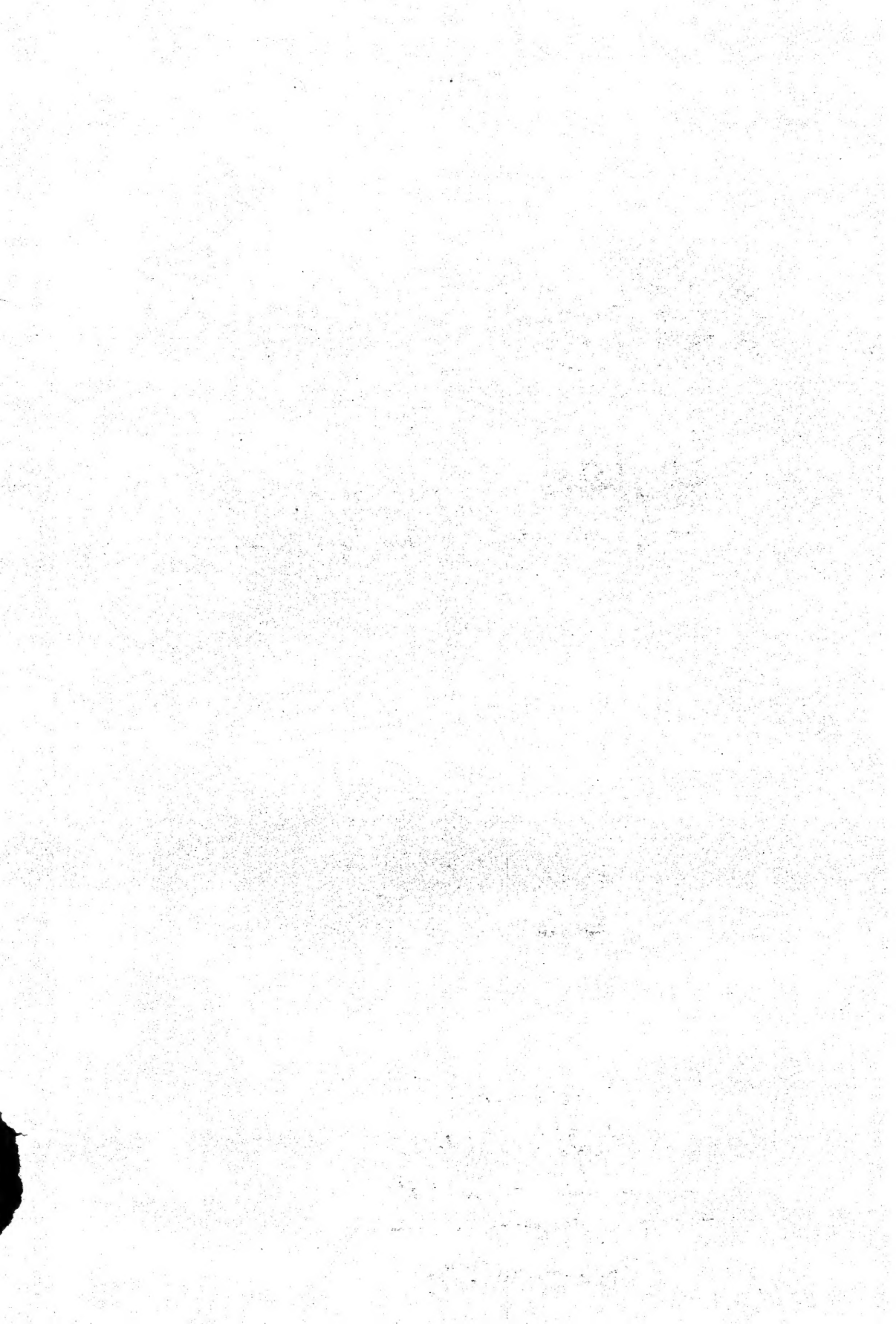
فوزى يوسف الهابط

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

الولاء للطبع والتوزيع

شبين الكوم - ت ٢٢٤٩٠١



« بسم الله الرحمن الرحيم » بين يدي الكتاب

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... وبعد :

فإن الكتب التي تتحدث عن المعاجم- في أى لغة من اللغات - تعد من الأهمية بمكان ، لكل مثقف ، ولكل طالب للثقافة ، وذلك لأنها تفتح أمام عينيه صفحات هذه المعاجم وتقلب فيها ، ثم تضع أمامه أشهى ثمار تلك المعاجم ؛ شارحة طرقها في عرض المواد اللغوية ، مبينة كيفية الاهتداء إلى أى مادة من تلك المواد ، بأيسر طريق ، ودون عناء يذكر ، وذلك حتى لا يضيع وقت القارئ الثمين في سبيل الوصول إلى معنى مادة من المواد ، أو كلمة من الكلمات التي تأبَّت عليه معانيها ، وغابت عنه مراميها .

وهذا الكتاب : يحاول أن يضع لبنة متواضعة ، في صرح تلك الكتب الكبيرة ، التي تتخذ من المعاجم مادة لها ، حتى يكون رفيقا صالحا لقارئه طوال حياته .
وإنَّ صاحبه لمدين بالفضل إلى الله أولا ثم إلى من عبَدوا له ولغيره هذا الطريق الوعر المسالك ، المتشعب الدروب .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

ربيع الآخر ١٤١٣هـ
القاهرة في أكتوبر ١٩٩٢م

دكتور فوزى يوسف الهابط
كلية اللغة العربية بالمنوفية





الباب الأول

المعاجم : ما هي ؟ وكيف نشأت ؟

الفصل الأول

المعاجم اللغوية . . ما هي ؟

الحاجة إلى المعاجم :

قد يقف الإنسان أمام لفظ ما ، لا يعرف كُنهه أو معناه . . .

وقد يحيش بخاطره معنى لا يعرف له قالبا لغويا يصبه فيه .

وحينئذ يشعر أنه محتاج إلى ما يشرح له غموض ذلك اللفظ أو يحدد له القالب اللغوي لذلك المعنى .

وهذا الذي يشرح الألفاظ ، ويحدد قوالب المعاني ، هو ما يعرف بالمعاجم اللغوية .

فما هي ؟ وكيف نشأت ؟ وكيف تطورت ؟ وكيف تنوعت ؟ وما أفراد كل نوع ؟ وما خصائص كل فرد ؟

هذا ما أحاول الإجابة عنه في هذا الكتيب المتواضع ، الذي يحاول قدر جهده أن يقرب علم المعاجم العربية من أبناء العربية .

ما المعاجم اللغوية :

المعاجم اللغوية : هي التي تحصر ألفاظ اللغة وترتيبها ترتيبا خاصا يساعد الباحث على التعرف على اللفظة بشرح مدلولها .

أو : تيسر له وسيلة العثور على مجموعة من الألفاظ التي يجمعها موضوع واحد^(١) .

والمعجم الكامل - كما قال بعض الباحثين^(٢) - « هو الذى يضم كل كلمة فى اللغة ، مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها ، وطريقة نطقها ، وشواهد تبين مواضع استعمالها » .

ولكن ما أصل كلمة معجم ؟

كلمة (معجم) جاءت من مادة (ع ج م) ، وهى مادة تدل - فى لغة العرب - على الإبهام والاختفاء ، اللذين هما ضد البيان والإفصاح .

فالعُجمة : الحُبْسَة فى اللسان^(٣) ، ومن ذلك : رجل أعجم وامرأة عجماء ، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما^(٤) ، وإن كانا عربيين .

والأعجم : الأخرس ، والموج الأعجم : الذى لا ينضح ماء ولا يُسمع له صوت^(٥) .

والعجماء : البهيمة ، وفى الحديث : « جرح العجماء جبار » وإنما سميت عجماء : لأنها لا تتكلم فكل من لا يقدر على الكلام أصلا : فهو أعجم ومستعجم^(٦) .

(١) انظر : المعاجم العربية - الكتاب الأول - د . عبد السميع محمد أحمد - ص ١٨ - نشر : دار الفكر العربى بمصر .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار - الصحاح ومدارس المعجمات العربية - ص ٣٨ ط . دار الكتاب العربى بمصر .

(٣) أى : تعذر الكلام عند إرادته - اللسان : حبس .

(٤) ابن جنى - سر صناعة الإعراب - بتحقيق مصطفى السقا وآخرين : ١ / ٤٠ - ط . مصطفى البابى الحلبي بمصر .

(٥) انظر تاج العروس للزبيدي : عجم .

(٦) الصحاح للجوهري : عجم .

فكل ذلك يدل على الإبهام والخفاء ، بينما (المعجم) الذى نحن بصدده يُزيل
الخفاء عن المعانى الغامضة للألفاظ ! (فكيف يستقيم أن يشتق اسمه من مادة لغوية
تدل على الإبهام والخفاء ، حيث تقول أعجمت الكلام : أى وضحته وبينته ؟
أجاب ابن جنى على هذا التساؤل قائلا :^(١) .

إن قولهم : أعجمت وزنه أفعلت ، وأفعلت هذه - وإن
كانت فى غالب أمرها - إنما تأتى للإثبات والإيجاب - نحو
أكرمت زيدا ، أى أوجبت له الكرامة ، وأحسنيت إليه :
أثبت له الإحسان - فقد تأتى أفعلت أيضا يراد بها السلب
والنفى وذلك نحو : أشكيت زيدا ، إذا زلث له عما
يشكوه . . . فكذلك أيضا يكون قولنا : أعجمت الكتاب
أى أزلت عنه استعجابه . . . ونظيره أيضا : أشكلت
الكتاب أى أزلت عنه إشكاله .

وقد قالوا أيضا : عَجَّمت الكتاب ، فجاءت فعَّلت
للسلب أيضا كما جاءت أفعلت .

ونظير عَجَّمت - فى النفى والسلب - قولهم مَرَّضت
الرجل ، أى داويته ليزول مرضه ، وَقَدَّيت عينه أى أزلت
عنها القذى .

وقد أخذ من هذه المادة كلمة (حروف المعجم) ، أى الحروف التى زالت
عجمتها ، وزال خفاؤها عن طريق نَقْط بعضها وترك بعضها الآخر .
فأصبحت لكل منها معالم خاصة تميزها عن أختها ، فالجيم والحاء حين تنقطان
تُمَيِّزان عن بعضهما وتُمَيِّزان عن الحاء التى بلا نقط ، والشين حين تنقط تُمَيِّز
عن السين وهكذا^(٢) .

(١) سر صناعة الإعراب : ١ / ٤٢ وما بعدها .

(٢) انظر : سر صناعة الإعراب : المكان السابق .

وقد « وُصفت الكتب التي راعت في ترتيبها حروف الهجاء أي مراعاة - في الحرف الأول وحده ، أو في الحرفين الأولين ، أو في حروفها جميعا ، وعلى ترتيب ألف باء ، أو ترتيب المخارج ، أو ترتيب الأبجدية - بأنها تسمير على حروف المعجم »^(١).

ولكن ... متى أطلق هذا الوصف أولا ؟ وعلام أطلق ؟

لم يعرف الباحثون متى أطلق على وجه التحديد ، لكن الذي يعلمونه أن أول من استعمل الكلمة كان من رجال الحديث ، وأن ذلك كان في القرن الثالث الهجري^(٢) ، فقد وجدوا في صحيح البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ١٩٤ - ٢٥٦ هـ) بابا أطلق عليه : باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم^(٣).

و(الجامع) أحد كتب البخاري الذي رتب فيه أسماء الرجال على حروف المعجم مبتدئا بالمحمدين^(٤).

كما عثروا على أول كتاب أطلق عليه هذا الوصف واسمه : معجم الصحابة لأبي يعلى أحمد بن علي التيمي الموصل (٢١٠ - ٣٠٧ هـ)^(٥).

ثم سار على نهجه عبد الله بن محمد البغوي (٢١٤ - ٣١٥ هـ) في كتابيه اللذين أطلق عليهما : المعجم الكبير . والمعجم الصغير في أسماء الصحابة^(٦) رضوان الله عليهم .

وعثروا - في هذا القرن الثالث الهجري - على كتابين آخرين في العروض والأدب ، أطلق عليهما نفس الوصف :

(١) د . حسين نصار - المعجم العربي : نشأته وتطوره : ١ / ١٢ ، ١٣ ط ٢ مكتبة مصر بالفجالة .

(٢) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات - أحمد عبد الغفور عطار : ص ٥٣ ، ٥٤

(٣) صحيح البخاري - بشرح الكرمان - كتاب المغازي : ١٥ / ١٩٨ ، ط المطبعة البية المصرية .

(٤) هدية العارفين أسماء المؤلفين لإسماعيل باشا البغدادي : ٢ / ١٦ .

(٥) المرجع السابق ١ / ٥٧ .

(٦) السابق : ص ٤٤٤ .

الأول - كتاب معاني العروض على حروف المعجم لزرّح بن محمد العروضي^(١) .

والثاني - كتاب الأغاني على حروف المعجم لحُبَيْش بن موسى الضبي^(٢) (ت ٢٥٠ هـ) .

ومما سبق يتبين لنا أنه قد أُجيب على تساؤل أحد الباحثين حول زمان هذا الوصف ، وهل كان في القرن الثالث الهجري ، أم كان في القرن الرابع الهجري^(٣) ؟ وهل كان من إطلاق المؤلفين أم من إطلاق المؤرخين ؟

فقد وضع بما لا يدع مجالا للشك أنه أطلق خلال القرن الثالث الهجري ، بدليل تسمية البخاري لأحد أبواب صحيحه بذلك الاسم ، ولا يعقل أن يضع المؤرخون اسما لباب .

اختصار الاسم :

ويبدو أن المؤلفين - بعد ذلك - استقلوا ذلك الاسم الطويل (كتاب كذا على حروف المعجم) فاختصروه ، وساروا - في هذا الاختصار - على طريقتين :
الأول - قولهم : كتاب كذا على الحروف ، بحذف كلمة (معجم) .
والثاني - قولهم : معجم كذا ، بحذف كلمة (الحروف) وتغيير ترتيب الكلمة .
وقد كان هذا - أيضا - في القرن الثالث الهجري الذي سار فيه المؤلفون - من اللغويين وغيرهم - على هذا النهج^(٤) .

(١) الفهرست للنديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب - ت ٣٨٠ هـ) بتحقيق رضا تجدد : ص ٧٨ ، ٧٩ . ط . طهران .

(٢) معجم الأدباء : ٧ / ٢٢١ ط . دار المأمون ، هذا وقد أسماه البغدادي في (هدية العارفين : ١ / ٢٦٧) حسن بن موسى النصي ، وأعتقد أن هذا تصحيف .

(٣) انظر : المعجم العربي نشأته وتطوره - د . حسين نصار : ١ / ١٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق : ص ١٣ ، ١٤ .

تسمية المعجم بالقاموس :

ثم اشتهرت المعاجم باسم : القواميس^(١) بعد أن ألف الفيروزبادي (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) معجما أطلق عليه اسم : القاموس المحيط .

فإنه لما اشتهر هذا الكتاب وكثر تداوله : اكتفى الناس باسم القاموس ، وأصبح مرادفا عندهم لكلمة (معجم لغوى) .

وقد أقرهم مجمع اللغة العربية على ما ألفوه ، وعد كلمتى المعجم والقاموس تعنيان شيئا واحدا وهو المعجم اللغوى^(٢) .



(١) جمع قاموس ومعناه : البحر .

(٢) انظر : المعجم الوسيط : قمس - ط ٣ .

الفصل الثانى

نشأة المعاجم عند الأمم القديمة^(٥)

أولاً : نشأتها :

دعت الحاجة ألما قديمة - سابقة للعرب - إلى أن يتدعوا النظام المعجمى لآختلف المقاصد والغايات ، ومن هذه الأمم :

١ - الآشوريون :

وهم الذين خافوا على لغتهم القديمة أن تضع ؛ فجمعوا ألفاظها من أفواه الكهنة الذين كانوا يستعملونها فى شعائرهم الدينية ، ثم حفروها - منظمة فى قوائم - على قوالب من طين ، وأودعوها مكتبة آشور بانيبال الكبيرة التى كانت بقصر قوينجيك فى نينوى (٦٦٨ - ٦٢٥ ق . م) .

وقد أصبحت هذه القوالب - بعد اكتشافها - مصدرا صحيحا لتاريخ الآشوريين .

٢ - الساميون :

الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية واستقروا فى بلاد الشومرين (أرض الهلال الخصيب) .

فقد احتاجوا إلى التفاهم مع أهل البلاد الأصليين ، فضعوا ألواحا من الفخار

(٥) انظر - فى هذا - : البحث اللغوى عند العرب - د . أحمد مختار عمر ص ٤٣ - ٥٧ ط ٤ - عالم الكتب بمصر ، الصحاح ومدارس المعجمات العربية - أحمد عبد الغفور عطار : ص ٥٥ - ٥٧ .

قسموها إلى خانات ، الخانة الأولى : فيها كلمة شومرية ، وفي الخانات الأخرى ما يقابل هذه الكلمة من الكلمات الأكادية أو البابلية أو الآشورية .

ويرجع تاريخ هذه الألواح الفخارية ؛ إلى القرن الثالث قبل الميلاد .

٣ - الصينيون :

هم الذين ابتدعوا معاجم ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد وكان غرضهم من ابتداعها - أول الامر - خدمة النصوص الدينية ، بشرح الغامض من كلماتها ، ثم تطورت - هذه المعاجم - إلى معجمات كاملة تجمع الكلمات وتشرحها .

وأقدم معاجمهم :

هو : معجم (يويان) وقد ألفه (كوني وانج) ومعجم (إيريه - يا) ذلك الذى كان أشبه ما يكون بمعاجم المعاني أو الموضوعات ، حيث وردت الكلمات فيه تحت موضوعات أو معان مختلفة .

ومعجم (شو - وان) الذى قام مؤلفه (هوشين) بترتيب وشرح حوالى عشرة آلاف وستائة كلمة - معظمها - من كلمات النصوص الدينية القديمة . ثم ظهر عندهم نظام معجمى جديد ، رتب كلماته صوتيا حسب نطقها حيث حشدت فيه كل الكلمات ذات الصوت الواحد فى باب واحد .

وأول معجم صينى اتبع هذا النظام : هو معجم (هو - فا - ين) الذى ألف بين عامى (٥٨١ - ٦٠١ م) .

٤ - اليونانيون :

انتجوا عددًا ضخماً من المعاجم التى ألف أكثرها فى الإسكندرية - أيام احتلالهم لها فى القرون الأولى بعد الميلاد - وكان هذا بمثابة العصر الذهبى لمعاجم اليونان .

وأشهر معاجهم القديمة :

- أ - معجم أبرقراط (الألف بائى) الذى ألفه عام ١٨٠ ق . م .
ب - معجم يوليوس بولكس ، الذى يشبه - إلى حد كبير - فى نظامه :
المخصص لابن سيده ، حيث اتبع نظام المعانى والموضوعات المتشابهة فى
باب واحد .
ج - معجم فاليريوس فيلكس ، تحت عنوان : فى معانى الألفاظ ، وقد ألفه فى
عهد الإمبراطور أغسطس ، الذى ولد فى أيامه سيدنا المسيح عليه السلام .
د - معجم (اللهجات والمحليات) الذى ألفه : هزيشيوس السكندرى فى
القرن الرابع الميلادى .
هـ - معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه الذى وضعه : أمونيوس السكندرى .
و - معجم أريون الطيبى (من أهل طيبة فى مصر ٣٩٠ - ٤٦٠ م) وكان
فى الاشتقاق .

٥ - الهندود :

بدأت أعمالهم المعجمية فى ظلال الدين ، حيث ظهرت - أول ما ظهرت -
على شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة فى نصوصهم المقدسة ، وتلا ذلك
شرح لهذه الألفاظ .

ثم ظهرت لهم أعمال معجمية لا تقتصر على ألفاظ النصوص المقدسة بل تعدتها
إلى الألفاظ التى تستعمل فى الحياة العامة .

وأقدم ما وصل إلينا - فى هذا المضمار - :

- أ - معجم (أماراكوسا) الذى ألفه الهندى البوذى : (أماراسينها) فى القرن
السادس الميلادى أو قبله بقليل .

وقد قسم هذا المعجم إلى أجزاء ، منها : ما هو خاص بالألفاظ
المترادفة ، وما هو خاص بالمشارك اللفظى ، وما هو خاص بالذكر
والمؤنث والمحايد .

وقد كُتب هذا المعجم في هيئة منظومة - كألفية ابن مالك - ليسهل حفظه .
ب - معجم (مجهول الاسم) : كتب في القرن الحادى عشر الميلادى ، ورتبت
الكلمات فيه بحسب عدد مقاطعها ، ثم بحسب الجنس (التذكير
والتأنيث) ثم بحسب الحرف الأول .

٦ - حجر رشيد : معجم فرعونى قديم :

ويمكن أن يعد حجر رشيد - الذى عثرت عليه الحملة الفرنسية في رشيد
سنة ١٧٩٩م - من قبيل المعاجم الأثرية القديمة .

فهو قطعة كبيرة من حجر البازلت ، حفر عليها نص مكتوب بثلاث لغات
هى : الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية .

وهذا النص عبارة عن شكر من الكهنة للملك بطليموس الخامس - الذى
حكم مصر في الفترة من ٢٠٣ - ١٨٠ ق . م وتزوج كليوباتره الأولى - ،
وذلك بسبب عطاياه التى قدمها للمعابد .

وقد كان العثور على هذا الحجر إيذاناً بفك رموز اللغة الهيروغليفية ، عن طريق
مقارنتها بما يقابلها - على ذلك الحجر - من اللغة اليونانية التى كانت مقروءة
وقتشذ ، وكان أنجح من حاولوا عقد تلك المقارنة العالم الفرنسى : شيليون^(١)
(١٧٩٠ - ١٨٣٢م) - الذى نقل مع تلميذه ومساعدته الإيطالى :
روزوليني - كثيراً من نصوص اللغة الهيروغليفية ، ثم وضع لها أول
أجرومية^(٢) .

وقد أمكن - عن طريق فك رموز هذه اللغة ووضع قواعد لها - أن تُقرأ
الكتابات المصرية الموجودة على جدران المعابد والقبور ، وعلى المسلات الفرعونية
القديمة ، وبذلك أمكن الكشف عن تاريخ الفراعنة القدماء بوساطة هذا المعجم
الصغير الذى كتبه الكهنة بلغتهم الهيروغليفية ، ثم بلغة حاكمهم اليونانى الأصل .

(١) انظر : الموسوعة العربية الميسرة : ١ / ٣٧٩ ، ٨٦٩ نشر دار القلم بمصر .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٢ / ١٠٩٤ .

الفصل الثالث

نشأة المعاجم عند العرب

١ - حاجة العرب إلى المعاجم :

أحب - بداية - أن أجيب عن سؤال ربما يرد إلى ذهن قارئ هذا الكتاب ، ألا وهو : هل كان العربى - فى الجاهلية وصدر الإسلام - يعرف معنى كل كلمة عربية ؟

والواقع الذى بين أيدينا - من خلال مرويات التراث - يفيدنا :

أن العامة من عرب الجاهلية وما بعدها : كانوا ربما عرفوا الكلام بمفرداته وغابت عنهم معانيه ، وليس ببعيد عنا قصة ذلك الشاعر الذى ضاقت به امرأته لأنه لا يتغزل بها ولا يطرئ جمالها ، ولا يبدى إعجابه بمحاسنها ، فقال فيها - مسترضيا - :

ثُمَّتْ غُيْدَةٌ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِهَا فَالْحُسْنُ مِنْهَا بَحِثْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
قُلْ لِلَّذِي غَابَهَا مِنْ غَائِبٍ حَقٌّ أَقْصِرْ ، فَرَأْسُ الَّذِي قَدْ غَبَتْ وَالْحَجَرُ

ومما يثير الدهشة ويدعو إلى العجب . . أن هذه المرأة قد فهمت هذا الكلام على أنه مدح لها وإطراء . . .

وهذا الذى ذكرت ، لا يقتصر على العامة وإنما يتعدى إلى الخاصة ، بل إلى خاصة الخاصة ممن ملكوا أزمّة البيان وانقادت لهم أساليب البلاغة ، ودانت سبل الفصاحة^(١) .

(١) د . عبد الله العزازى - المعاجم : الكتاب الأول : ص ٣٠ ط : دار الطباعة المحمدية بمصر .

فها هو أبو بكر (رضى الله عنه) يُسأل عن قوله تعالى : ﴿وَفَاكِهَةً
وَأَبَاً﴾^(١) فيقول^(٢) : « أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن أنا قلت : فى
كتاب الله ما لا أعلم » .

وها هو عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقرأ هذه الآية على المنبر ثم
يقول^(٣) : « هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم يرجع إلى نفسه قائلاً :
« هذا هو القلف يا عمر »^(٤) .

وها هو ابن عباس رضى الله عنه - حَبْر هذه الأمة - يقول^(٥) « كنت لا
أدرى ما فاطر السماوات ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما :
أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها » .

كما قال^(٦) : « كل القرآن أعلمه إلا أربعاً : غَسْلِينَ وَحَنَاتًا وَأَوَاهُ ، وَالرَّقِيمَ » .
إذن : فقد كان بعض العرب - فى الجاهلية وصدر الإسلام - لا يعرف بعض
المعاني العربية ، وبعضهم الآخر لا يعرف معنى بعض الألفاظ العربية .

وكان هذا الحال يدعو إلى وجود معاجم تفسر ما غمض من هذه المعانى وتلك
الألفاظ ، فَلِمَ لَمْ توجد هذه المعاجم فى ذلك الوقت ؟

لم توجد معاجم عربية فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام :

بسبب الأمية التى كانت فاشية بينهم فى ذلك الزمان ، حتى إنه لم يكن
فى قريش - حين جاء الإسلام - سوى سبعة عشر رجلاً يقرؤون ويكتبون ،
ولم يكن فى المدينة - حين دخلها رسول الله ﷺ - سوى أحد عشر رجلاً
كذلك^(٧) .

- كما أن العرب لم يختلطوا بغيرهم من الأمم ؛ فيعرفوا منهم نظام المعاجم .

- وأعتقد أن الحاجة إلى المعاجم - فى ذلك الوقت - لم تكن ماسة ، لأن

(١) عيس / ٣١ .

(٢) الإنتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ١ / ١١٣ - ط : ٤ : نشر مصطفى الباقى الحلبي .

(٣) انظر : فتوح البلدان للبلاذرى : ص ٤٧١ - ٤٧٤ : ط لندن ١٩٦٨ م .

العربية كانت لغتهم المصفاة التي يتلقونها عن آبائهم ، منذ نعومة أظفارهم ، والتي لم يُرثَق صفوها الاختلاط بأعاجم .

ولذلك يمكن القول : إن ما خفى عليهم من الالفاظ أو المعانى لم يكن إلا شيئا يسيرا ، وذكره في الروايات المروية - تلك - دليل على غرابته وتفرده ، وأن هذا لم يكن ظاهرة عامة أو ضخمة تستدعى نظاما ما ، يفسر لهم ما غمض عليهم .

ولكن عندما نزل القرآن الكريم بلغة عامة العرب ، كان رسول الله ﷺ : يقوم ببيان ما تمس الحاجة إليه من بيان ، وذلك فيما يتصل بمجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه ، وجميع وجوهه التي لا غنى للأمة عنها ، وبذلك استغنوا عن المعجمات وتوابعها^(١) .

فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يرد على كل التساؤلات التي كانت تدور حول القرآن الكريم ، ومن ذلك ما روى من أنه سئل ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِّحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٢) فقال - فيما يرويه عنه أنس رضي الله عنه - : « للذين أحسنوا العمل في الدنيا : لهم الحسنى وهى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم »^(٣) .



(١) انظر : تهذيب اللغة لآبى منصور الأزهرى - بتحقيق عبد السلام هارون : ١ / ٤ - ط دار القومية العربية للطباعة ١٩٦٤ م .

(٢) يونس / ٢٦ .

(٣) تفسير القرطبي : ٨ / ٣٣٠ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وإلى من كان يتجه العرب بالسؤال ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ؟

كانوا يتجهون إلى أهل العلم باللغة ، فيسألونهم عما غمض عليهم في كتاب الله تعالى ، وكان أهل العلم يؤدون عمل المعاجم^(١) فيجيبونهم إجابة مستوحاة مما يحفظون من شعر وَيَعُونُ من نثر ، حيث كان الشعر - المحفوظ رِوَايَةً - يعد ديوان العرب الذى يراجعونه حين يخفى عليهم معنى أو لفظ .

وفى ذلك يقول ابن عباس^(٢) (رضى الله عنه) : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه » .

ويقول - أيضا^(٣) - : « إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا فى الشعر ، فإن الشعر عربى » .

ابن عباس يقوم بدور المعجم :

وقد كان ابن عباس (رضى الله عنه) - بما وهبه الله من العلم - يقوم بدور المعجم العربى فى صدر الإسلام ، وكان يجلس فى فناء الكعبة ليسأله الناس عن تفسير القرآن الكريم .

ويبدو أن إقبال الناس عليه ، والتفافهم حوله ؛ ليسأله عما غمض عليهم ، أثار حفيظة نفر آخر من الناس ! فذهبوا إليه مُتَحَدِّين له ، ظنا منهم أنه يجترئ على تفسير كتاب الله بما لا يعلم^(٤) .

ومن هؤلاء النفر : نافع بن الأزرق ، الذى قال لصاحبه نجدة بن عويمر^(٤) :

(١) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ٤٠ .

(٢) الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى : ١ / ١٥٧ .

(٣) المرجع السابق - نفس المكان .

(٤) المرجع السابق - نفس المكان .

قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين .

فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ اليمين وَعَنِ الشِّمالِ عَزِيزٍ ﴾ [المعارج : ٣٧] . قال : العززون : حَلَقُ الرفاق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزيزا

قال : أخبرنى عن قوله : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] قال : الوسيلة : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلى وتحضى

قال : أخبرنى عن قوله : ﴿ شَرَعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، قال : الشرعة : الدين ، والمنهاج الطريق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول :

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ويئن للإسلام ديناً ومنهجاً

الخ . . ذلك من الأسئلة والإجابات التى احتلت زهاء سبع عشرة صفحة - من القطع الكبير - من كتاب : الإتيقان فى علوم القرآن .



الباب الثانى

بواكير المعاجم العربية

الفصل الأول

غريب القرآن

تمهيد :

جاء التأليف المعجمى العربى حسب حاجة الناس .

ولما كان العرب - فى صدر الإسلام - يعرفون الكثير والكثير من لغتهم فإنهم لم يحتاجوا - فى هذه الوقت - إلى معاجم تجمع لهم هذه اللغة وتشرحها . .
ولمّا كانوا يحتاجون إلى من يفسر لهم بعض كلمات القرآن الكريم ، وبعض كلمات حديث رسول الله ﷺ .

ومن هنا فقد رأينا أصحاب العلم - فى هذا الزمان - يتسابقون إلى إرواء ظمأ الناس فى هذا المجال ، فظهر ما يعرف بغريب القرآن ، وما يعرف بغريب الحديث .

ثم رأى أصحاب العلم هؤلاء ، أن محصولهم اللغوى الذى ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، قد لا يسعفهم فى هذين المجالين ، فخفوا سماعاً إلى البداية يجمعون منها الألفاظ التى لم يعرفوها من قبل ، وتكون منهم فريق يعرف بجماع اللغة .
وهؤلاء الجماعون للغة لم تكن عندهم الخبرة الكافية - فى أول الأمر - للجمع ، ولذلك كانوا يجمعون كيفما اتفق ، دون ترتيب أو تنظيم .

لكنهم ما لبثوا أن أدركوا أن طريقة الجمع العشوائية هذه لا تسمن ولا تغنى

من جوع ، ولا تفيدهم - أو غيرهم - في تفسير كتاب الله وحديث رسوله ﷺ ، فحاولوا أن ينظموا ما جمعه في رسائل مختلفة الأشكال والأغراض .

ولذلك يمكن القول : إن هذه المرحلة تجمع بين صنفين من التأليف المعجمية المبكرة :

الصنف الأول : رسائل تدور حول غريب القرآن والحديث .

الصنف الثاني : رسائل تجمع فيها الألفاظ والكلمات العربية المختلفة من البادية .

وسوف أحاول إلقاء الضوء على كل صنف منها .

أولاً : غريب القرآن :

عرفنا - مما سبق - أن العرب الذين أنزل القرآن الكريم بلغتهم ، لم يكونوا جميعاً متساوين في فهمهم له ، بل كان بعضهم تغمض عليه الكلمة منه والكلمات ، ولذلك كانوا في حاجة إلى من يفسرها لهم - وخاصة بعد وفاة الرسول ﷺ - وقد تصدى لهذه المهمة ، وقام بها خير قيام : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت ٦٨ هـ) ابن عم النبي ﷺ .

ولذلك أثر عنه أول أثر من آثار تفسير غريب القرآن الكريم .

وهذا الأثر لم يكن كتاباً بالمعنى المفهوم للكتاب اليوم ، وإنما هو مجموعة من مرويَّات منسوبة إلى عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) رواها عنه : البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) في صحيحه ، وابن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) في تفسيره .

كما دون السيوطى في كتابه : (الإتيقان في علوم القرآن) عدة صفحات^(١)

(١) انظر : الإتيقان : ١ / ١١٤ - ١١٩ .

في هذا الصدد .

فأما البخارى :

فقد روى عن ابن عباس ما نقله الثقات عنه في تفسير القرآن الكريم ، في (كتاب التفسير) .

- ومن أمثلة ذلك ما رواه البخارى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ ﴾ . . إلى قوله : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١) .

قال البخارى^(٢) : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : سمعت مجاهدا قال : سمعت ابن عباس (رضى الله عنهما) يقول : كان في بنى إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله تعالى لهذه الأمة : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ .
﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ ، فالعفو : أن يقبل الدية في العمد .
﴿ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ : يتبع بالمعروف ويؤدى بإحسان .

﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ : مما كتب على من كان قبلكم .

﴿ فَمَنْ آغْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : قتل بعد قبول الدية .

- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾^(٣) .

قال البخارى^(٤) : « وقال ابن عباس : « إصْرًا » : عهدا . ويقال غفرانك :

(١) البقرة : ١٧٨ .

(٢) صحيح البخارى بشرح الكرمانى : ١٧ / ٢٠ .

(٣) البقرة : ٢٨٥ .

(٤) صحيح البخارى بشرح الكرمانى : ١٧ / ٤٧ .

مغفرتك ، فاغفر لنا .

وأما ابن جرير الطبري :

فقد كان تفسيره بالمأثور مما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم والذين كان منهم ابن عباس (رضى الله عنهما) ، ذلك الذى امتلأ كتاب تفسير ابن جرير ، بما روى عنه من طرق مختلفة .

ومن ذلك :

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

قال ابن جرير^(١) :

اختلف أهل التأويل فى معنى (الْبِرِّ) الذى كان المخاطبون بهذه الآية يأمرُونَ الناس به وينسون أنفسهم ، بعد إجماع جميعهم على أن كل طاعة لله فهى تسمى (بِرًّا) ، فروى عن ابن عباس ما :

- حدثنا به ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن اسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثُلُونَ الْكِتَابِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أى : أتنبهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة ، وتتركون أنفسكم ، أى : وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى ؟

(١) تفسير الطبري - بتحقيق عمود محمد شاکر : ٢ / ٧ - نشر دار المعارف بمصر .

- حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال :
حدثنا بشر بن عمارة عن أبي رَزُق عن الضَّحَّاك ، عن ابن
عباس ، في قوله : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ ، يقول :
أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ ، وغير ذلك مما
أمرتم به من إقامة الصلاة وتنسوا أنفسكم .

٢ - وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة : ٤٤] .
قال ابن جرير^(١) :

يعنى بقوله : ﴿ تَثْلَوْنَ ﴾ ، تدرسون وتقرأون ، كما حدثنا
أبو كريب عن أبي رَزُق عن الضحاك عن ابن عباس :
﴿ وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ ﴾ ، يقول : تدرسون الكتاب
بذلك .

٣ - وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] .
قال ابن جرير^(٢) .

حدثنا محمد بن العلاء قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال :
حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي رَزُق ، عن الضحاك عن ابن
عباس ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، يقول : أفلا تفهمون ؟ ينههم عن
هذا الخلق القبيح .

ونلاحظ من هذه الأمثلة اليسيرة التى رويت عن ابن عباس فى صحيح
البخارى وفى تفسير الطبرى : أن ابن عباس (رضى الله عنهما) لم يكن يشرح
معنى الكلمة الغامضة فقط ، بل كان يفسر الآية بأكملها أحيانا ، ويشرح معنى
الكلمة المفردة أحيانا أخرى ، حين كان السياق القرآنى يقتضى ذلك ، ولو

(١) تفسير الطبرى : ٩/٢ .

(٢) المرجع السابق : ٢ / ١٠ .

استعرضنا نماذج أخرى : لوجدناه يوضح أسباب النزول وناسخ الآيات ومنسوخها^(١) ، إلى غير ذلك .

وأما السيوطي :

فقد دون في كتابه : (الإتقان في علوم القرآن) عدة صفحات (ص ١١٤ - ١١٩ / ١) تشتمل على ما وصل إليه من أقوال ابن عباس في هذا الصدد .

وقد بدأها بمقدمة قال فيها^(٢) : « النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه (أى القرآن الكريم) : أفردته بالتصنيف خلائق لا يحصون ، منهم : أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد ثم قال^(٣) : « وأولى ما يرجع إليه في ذلك : ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ، وها أنذا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق عنه ، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه^(٤) مرتبا على السور » .

وبعد أن ذكر السيوطي أسانيد الكلمات القرآنية المفسرة ذكرها هكذا :
يُؤْمِنُونَ : يصدقون .

يَعْمَهُونَ : يتجادون .

مُطَهَّرَةٌ : من القدر والأذى .

الْحَاشِيَيْنِ : المصدقين بما أنزل الله .

وكان آخر الألفاظ القرآنية المفسرة هي^(٥) :

(١) تفسير الطبري : ٣ / ٣٨٨ - ٣٩٢ .

(٢) الإتقان : ١ / ١١٤ .

(٣) المرجع السابق : نفسه .

(٤) نقل البخاري عن غير طريق ابن أبي طلحة ، مثل مجاهد - انظر صحيح البخاري بشرح الكرماني : ١٧ / ٢٠ .

(٥) الإتقان : ١ / ١١٩ .

يَتَمَطَّى : يَحْتَال .

أَثَرًا : فِي سَنٍّ وَاحِدٍ : ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ سَنَةً .

مَتَاعًا لَكُمْ : مَنَفَعَةً .

مُرْسَاهَا : مَنَتهَا .

مَمْنُونٌ : مَنَقُوصٌ .

ونلاحظ على ما ذكر : أن التفسير الوارد عن ابن عباس - في الإلتقان - كان موجزا ومختصرا ، لا شرح فيه ولا إسهاب ، ولا بيان لسبب النزول ولا للناسخ والنسوخ ، بخلاف ما ورد في صحيح البخارى وتفسير القرطبي عن ابن عباس .

كما أن الألفاظ لم تكن مرتبة أى ترتيب معجمى ، وإنما رتب حسب أماكنها في سور القرآن الكريم .

وفي اعتقادي أن هذا الترتيب وذاك الاختصار لم يكن من عند ابن عباس (رضى الله عنهما) ، وإنما كان من الرواة الذين رَوَوْا عن ابن عباس ، أو كان من السيوطى بتصرف منه ، بدليل أن السيوطى نفسه لم ينهج هذا المنهج في تفسيره المعروف : (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ، فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

قال السيوطى^(١) : « وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . . . الآية . . . قال : كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي ﷺ - أو بعضهم - قالوا : إنا على دينكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم - وهم إخوانهم - قالوا : إنا معكم ، أى : على مثل ما أنتم عليه . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، قال : ساءرون بأصحاب محمد . ﴿ اللَّهُ

(١) الدر المنثور : ١ / ٣١ ط المطبعة الإسلامية ب طهران .

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١﴾ قال : يسخر بهم ، للنقمة منهم . ﴿٢﴾ وَيَمْدُدُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ ﴿٣﴾
قال : في كفرهم . ﴿٤﴾ يَغْمَهُونَ ﴿٥﴾ قال : يترددون .

ففي هذا النموذج من التفسير المنسوب إلى ابن عباس : نجده يذكر أسباب النزول ، ثم يفسر كلمات الآية كلمة كلمة ، ويبين معناها ، وهذا خلاف ما ذكر من تفسير له في كتاب الإتيان ، ذلك الذي أشبه التفسير المعجمي .

كما نلاحظ أن كلمة « يَغْمَهُونَ » فُسرَت هنا بمعنى : يترددون وهذا التفسير مسند إلى ابن عباس ، ولكن مما يثير الحيرة أنها فُسرَت في الإتيان مسندة إلى ابن عباس - أيضا - بمعنى : يتأدون .

وهذا يدل على أن الطريق الذي روى عنه السيوطي في (الإتيان) غير الطريق الذي روى عنه في (الدر المنثور) .

غريب القرآن بعد ابن عباس :

١ - أول كتاب في غريب القرآن - ورد ذكره - بعد الذي روى عن ابن عباس هو كتاب : (الغريب في القرآن) لمؤلفه : أبان ابن تغلب بن رباح الجري ، أبو سعيد البكري ، المتوفى سنة ١٤١ هـ .

فقد ذكر ياقوت الحموي هذا الكتاب منسوباً إلى أبان أثناء ترجمته له ، حيث قال عنه^(١) : « كان قارئاً فقيها لغويا نبيا ، وسمع العرب وحكى عنهم ، وصنف كتاب الغريب في القرآن ، وذكر شواهد من الشعر » .

٢ - غريب القرآن - لمحمد بن السائب الكلبي - ت ١٤٦ هـ .

٣ - غريب القرآن : لمؤرج بن عمرو السدوسي البصري - ت ١٧٤ هـ .

٤ - معاني القرآن : لعل بن حمزة الكسائي - ت ١٨٢ هـ .

٥ - غريب القرآن - للنضر بن شميل - ت ٢٠٣ هـ .

(١) معجم الأدباء : ١ / ١٠٧ ، ١٠٨ - نشر دار المأمون ، وانظر : هدية العارفين : ١ / ١ .

- ٦ - مجاز القرآن - لقطرب : محمد بن المستنير - ت ٢٠٦ هـ .
 - ٧ - غريب القرآن - للفراء : يحيى بن زياد - ت ٢٠٧ هـ .
 - ٨ - مجاز القرآن - لأبي عبيدة : مَعْمَر بن المثنى - ت ٢١٠ هـ .
 - ٩ - معاني القرآن - للأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة - ت ٢١٦ هـ .
 - ١٠ - غريب القرآن - لأبي عبيد القاسم بن سلام - ت ٢٢٤ هـ .
- وغيرهم كثير ممن ألفوا في غريب القرآن^(١) .

ونلاحظ هنا أن عناوين هذه الكتب قد تراوحت ما بين : « غريب القرآن » و « معاني القرآن » و « مجاز القرآن » .

وقد ظن بعض الباحثين المتأخرين أن هذه العناوين غير مترادفة ولذلك عدوا كتب « مجاز القرآن » من كتب البلاغة لا من كتب التفسير وهذا وهم منهم ، لأن هذه الكتب - على اختلاف عناوينها - تدور في فلك واحد ، ألا وهو تفسير غريب القرآن الكريم^(٢) .

ابن قتيبة وغريب القرآن :

وكما بدأت - في مجال غريب القرآن - بابن عباس ، فإننى أختم - هذا المجال - بابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينورى : ٢١٣ - ٢٧٦ هـ) ذلك الذى أخرج لنا كتابا في غريب القرآن أسماه : (تفسير غريب القرآن) ، واستفاد فيه من المؤلفين السابقين له في هذا المجال ، كما سأوضح بعد .

وقد طبعت هذا الكتاب دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة في سنة ١٩٥٨ م ، بتحقيق : السيد أحمد صقر ، فخرج إلى الوجود منظما ، مُشَكَّلًا ، مُفَهَّرًا ، وافيا بالغرض منه .

(١) انظر : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - لحاجى خليفة ٢ / ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطى : ١ / ١١٣ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة - مقدمة المحقق (السيد أحمد صقر) : ص (ج) ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٨ .

غرض الكتاب ومنهجه :

بين لنا ابن قتيبة غرضه من تأليف هذا الكتاب ، ومنهجه الذى سار عليه ، حيث قال فى تقديمه له^(١) :

وغرضنا الذى امثلناه فى كتابنا هذا :

- أن نختصر ونكمل .
- وأن نوضح ونجمل .
- وأن لا نستشهد على اللفظ المتبدل (أى : المعروف) .
- ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل (أى : الذى كثر استعماله) .
- وأن لا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد .

مراجعته :

ثم تحدث عن المراجع التى رجع إليها ، وكيفية استقائه منها ، فقال^(٢) :

وكتابنا هذا مستنبط من :

- كتب المفسرين .
- وكتب أصحاب اللغة العالمين .
- لم نخرج فيه عن مذهبهم .
- ولا تكلفنا فى شيء منه بآرائنا غير معانيهم ، بعد اختيارنا فى الحرف أولى الأقاويل فى اللغة وأشبهها بالآية .
- ونبذنا منكر التأويل ومنحول التفاسير .

أقسامه :

قسم ابن قتيبة كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول تحت عنوان : اشتقاق أسماء الله الحسنى وصفاته ، وإظهار معانيها ، وقد فسر فيها ستة وعشرين حرفا من الحروف المعبرة عن ذلك^(٣) .

(١) تفسير غريب القرآن - ص ٣ .

(٢) المرجع السابق - نفسه .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٦ - ٢٠ .

والقسم الثاني تحت عنوان : باب تأويل حروف كثرت في الكتاب ، وخصص هذا الباب لتفسير بعض كلمات القرآن التي كثر ترديدها في القرآن الكريم ولم ير بعض السور أولى بها من بعض .

وقد تناول في هذا الباب أربعين كلمة .

والقسم الثالث (وهو القسم الأكبر الذي من أجله ألف الكتاب ألا وهو) : تفسير غريب القرآن الكريم ، بدءاً من سورة الحمد إلى نهاية القرآن الكريم ، على حسب الترتيب المعروف للمصحف الشريف .

نماذج من الكتاب

أولاً : من باب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته وإظهار معانيها^(١) :

١ - « الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » صفتان مبنيتان من الرحمة ، قال أبو عبيدة : وتقديرهما : ندمان ونديم .

٢ - ومن صفاته : « السَّلَامُ » قال^(٢) : ﴿ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ ﴾ [الحشر : ٢٣] ومنه سمي الرجل : عبد السلام ، كما يقال : عبد الله .

ويرى أهل النظر - من أصحاب اللغة - : أن « السَّلَام » بمعنى السلامة ، كما يقال : الرِّضَاع والرِّضَاعَة واللِّذَاز واللِّذَازَة .

قال الشاعر :

تُحْيِي بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ فَهَلْ لَكَ بَعْدَ قَوْمِكَ مِنْ سَلَامٍ

فسمى نفسه جل ثناؤه - « سَلَامًا » : لسلامته مما يلحق الخلق : من العيب والنقص ، والفناء والموت .

قال الله جل وعز : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس : ٢٥]

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة - بتحقيق السيد أحمد صقر : ص ٦ ، ٧ .

(٢) أى : قال الله تعالى .

فالسَّلام : الله ، وداره : الجنة . يجوز أن يكون سماها « سَلَامًا » : لأن الصائر اليها يَسْلَم فيها من كل ما يكون في الدنيا من مرض ووَصَب وموت وهَرَم ، واشباه ذلك . فهي دار السَّلام ومثله : ﴿ لَّهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

[الأنعام : ١٢٧]

ومنه يقال : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، يراد : اسم السَّلام عليكم ، كما يقال : اسم الله عليكم .

وقد بين ذلك ليبيد فقال :

إلى الحَوْل ثم اسم السَّلام عليكما ومن يَنك حَوْلًا كاملاً فقد اعتذر

ويجوز أن يكون معنى « السَّلام عليكم » السلامة لكم ، وإلى هذا المعنى يذهب من قال : « سلام الله عليكم ، وأقرىء فلانا سَلَامَ اللَّهِ » .

وقال : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٩٠ ، ٩١] يريد : فسلامة لك منهم أى : يحرك عنهم بسلامة ، وهو معنى قول المفسرين :

ويسمى الصواب من القول « سَلَامًا » لأنه سَلِمَ من العيب والإثم . قال : ﴿ وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، أى : سدادا من القول .

ثانيا : من باب تأويل حروف كَثُرَتْ في الكتاب^(١) :

١ - « الْجَنِّ » من « الاجتنان » وهو الاستِتار ، يقال للدرع جُنَّةٌ ، لأنها سترت ويقال : أجنَّه الليل ، أى : جعله من سواده فى جُنَّةٍ ، وجَنَّ عليه الليل .
وإنما سُمُّوا جِنًّا : لاستتارهم عن أبصار الإنس .

وقال بعض المفسرين فى قوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾

(١) تفسير غريب القرآن : ص ٢١ ، ٢٢ .

فَفَسَّقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿ [الكهف : ٥٠] ، أى : من الملائكة فسماهم
جنا : لاجتنائهم واستارهم عن الأبصار .

وقال الأعشى - يذكر سليمان النبي ﷺ - :

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرِ
٢ - وَسُمِّيَ « الْإِنْسُ » إِنْسًا : لظهورهم ، وإدراك البصر إياهم . وهو من
قولك : آنست كذا ، أى : أبصرته ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ إِنِّي آنَسْتُ
نَارًا ﴾ [طه : ١٠ ، والثل : ٧ ، والقصص : ٢٩] أى : أبصرت .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : إنما سمي إنسانا : لأنه عُهِدَ إليه
فَنَسِيَ .

وذهب إلى هذا قوم من أهل اللغة ، واحتجوا في ذلك بتصغير إنسان ،
وذلك أن العرب تصغره « أُنْسَان » بزيادة ياء ، كأن مُكَبَّرَهُ « إُنْسِيَان » -
إفعلان - من النسيان ، ثم تحذف الياء من مُكَبَّرِهِ استخفافا : لكثرة ما يجرى
على اللسان ، فإذا صُغِّرَ : رجعت الياء ورد إلى أصله ، لانه لا يُكَثَّرُ مُصَغَّرًا
كما يُكَثَّرُ مكبرا .

والبصريون يجعلونه : « فُعلانا » على التفسير الأول ، وقالوا زیدت الياء
في تصغيره ، كما زیدت في تصغير ليلة ، فقالوا : لُيْلَةٌ وفي تصغير رجل ،
فقالوا : رويجل .

ثالثا : من تفسير غريب القرآن عامة :

[سورة البقرة]^(١) .

١ - ﴿ الم ﴾ قد ذكرت تأويله وتأويل غيره من الحروف المقطعة في كتاب
« المشكل »^(٢) .

(١) تفسير غريب القرآن : ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - بتحقيق السيد أحمد صقر : ص ٢٣٠ - ٢٣٩ .

٢ - ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ : لا شك فيه .

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى : رشدًا لهم إلى الحق .

٣ - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أى : يصدقون بإخبار الله - عز وجل - عن الجنة والنار ، والحساب والقيامة ، وأشباه ذلك .

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أى : يزكون ويتصدقون .

٤ - ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ : من الفلاح : وأصله البقاء ومنه قول عبيد : أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضبط غفٍ وقد يُخدع الأريب^(١) .
أى : ابق بما شئت من كَيْس أو غفلة .

فكأنه قيل للمؤمنين : مفلحون لفوزهم بالبقاء فى النعيم المقيم ، هذا هو الأصل . ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزم ، وتكاملت فيه خلال الخير .
٥ - ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ بمنزلة : طبع الله عليها . والخاصة بمنزلة الطابع ، وإنما أراد أنه أقفل عليها وأغلقها فليست تعى خيرا ولا تسمعه ، وأصل هذا : أن كل شيء ختمته : فقد سدده وربطته .

ثم قال عز وجل : ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ ابتداء ، وتام الكلام الأول عند قوله : ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ .

والغشَاوة : الغطاء ، ومنه يقال : غَشَّ بثوب ، أى : غطه ومنه قيل : غاشية السَّرج ، لأنها غطاء له ، ومثله قوله : ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف : ٤١] .

ملاحظات على الكتاب :

١ - نلاحظ - من خلال تلك النماذج السابقة الذكر - أن ابن قتيبة قد حافظ

(١) ومعنى البيت : عش بما شئت من عقل وحق ، فقد يرزق الأحمق ويُحرم العاقل .

على عهده ووعدته في مقدمته ، فجاء كتابه منظما مختصرا لا استطراد فيه ،
مينا للغامض ، ومفسرا لما يحتاج إلى تفسير ، وموردا من الشواهد والأمثلة
والآراء : ما يدل على ذلك في أضييق مجال ، مما جعل كتابه خفيفا ، أثيرا
لدى قلوب القراء .

٢ - ويلحظ المحققون أن ابن قتيبة اعتمد في كتابه هذا : على كتاب (مجاز
القرآن) لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) ، ومعاني القرآن للقراء (ت
٢٠٧هـ) : أكبر اعتماد ، وانتفع بهما انتفاعا عظيما ، حتى إنه - في بعض
المواضع - كان ينقل لفظهما بنصه وفصه . ولم يكن ابن قتيبة مجرد ناقل
لكلامهما أو كلام غيرهما ، بل إنه أخذ من الجميع أخذ العالم البصير الذي
يعرف ما يأخذ وما يذر ، وتظهر شخصيته في كتابه قوية ، واضحة المعالم ،
بينه القسمات ، وكثيرا ما نقد رأى أبي عبيدة والقراء نقدا جريئا لادعا
حيناً ، وهادئا أحيانا^(١) .

٣ - وكما استفاد ابن قتيبة ممن سبقوه ، فقد أفاد من جاءوا بعده من المفسرين
كالقرطبي (ت ٦٧١هـ) والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) وأبي حيان
الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) وكذلك الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي « انتفع
بكتاب الغريب هذا انتفاعا كبيرا ، ونقل ألفاظه - في بعض المواطن - نقلا
حرفيا ، دون أن يشير إلى ابن قتيبة بأية إشارة واضحة ، أو مبهمة
كالواضحة »^(٢) .



(١) السيد أحمد صقر - مقدمة غريب تفسير القرآن : ص (ج ، د) .

(٢) المرجع السابق : (ص د) .

الفصل الثانى

غريب الحديث

تأخر التأليف - فى هذا النوع - زمنا طويلا ، لأن رسول الله ﷺ كان يخاطب العرب - على اختلاف شعوبهم وقبائلهم - بما يفهمونه ، ولذلك قال له الإمام على - رضى الله عنه - حين سمع يخطب وفد بنى نهد^(١) : « يا رسول الله : نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره » .

فقال له رسول الله ﷺ : « أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وربيت فى بنى سعد »^(٢) .

ولذلك فقد كان أصحابه ﷺ يعرفون ما يقول ، ونادرا ما كان يغمض عليهم شىء من أقواله فيسألونه عنه .

واستمر الحال هكذا إلى وفاة النبي ﷺ .

وجاء عصر الصحابة جاريا على هذا النمط ، فكان اللسان العربى ، عندهم صحيحا لا يتداخله الخلل إلى أن فتحت الأمصار ، وخالط العرب غير جنسهم فامتزجت الألسن وتداخلت اللغات ، ونشأ بينهم الأولاد ، فتعلموا من اللسان العربى ما لا بد لهم فى الخطاب وتركوا ما عذاه لعدم الحاجة إليه ...

(١) نهد : قبيلة من قبائل اليمن - اللسان : نهد .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - بتحقيق : طاهر الزاوى وآخر : ١ / ٤ .

نشر : دار إحياء الكتب العربية بمصر - ١٩٦٣ م .

وتمادت الأيام الى أن انقرض عصر الصحابة وجاء
التابعون فسلكوا سبيلهم ، ولكنهم قلوا في الإتيان عددا ، فما
انقضى زمانهم إلا واللسان العربي قد استحال أعجميا أو
كاد ، فلا ترى المستقل به والمحافظ عليه إلا الآحاد .

فلما أغضل الداء : ألهم الله سبحانه وتعالى جماعة من أهل
المعارف أن يصرفوا إلى هذا الشأن (شرح غريب الحديث)
طرفاً من عنايتهم ، فشرعوا فيه حراسة لهذا العلم الشريف .
ف قيل إن أول من جمع في هذا الفن شيئا : هو أبو عبيدة
معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـ^(١) .

كتاب غريب الحديث لأبي عبيدة :

وكان كتابه المسمى بغريب الحديث : « صغيرا ذا أوراق معدودات ، ولم تكن
قلته لجله (أى أبى عبيدة) بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين :
أحدهما : أن كل مبتدئ بشيء لم يسبق اليه ، ومبتدع لامر لم يتقدم فيه
عليه ، فإنه يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر .

والثاني : أن الناس كان فيهم يومئذ بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل
قد عم ولا الخطب قد طم^(٢) .

وقد أيد الخطيب البغدادي هذا الرأي القائل بأن أبا عبيدة هو أول من ألف
في هذا المجال ، حيث قال^(٣) : « وكتاب غريب الحديث : أول من عمله :
أبو عبيدة معمر بن المثنى^(٤) وقطرب^(٥) والأخفش^(٦) والنضر بن شميل^(٧) ، ولم

(١) النهاية في غريب الحديث : ٤/١ ، ٥ بتصرف .

(٢) المرجع السابق : ص ٥ .

(٣) تاريخ بغداد : ١٢ / ٤٥٥ ط مطبعة السعادة ١٩٣١ م .

(٤) توفي سنة ٢١٠هـ .

(٥) هو : محمد بن المستنير - ت ٢٠٦هـ واسم كتابه : غريب الآثار .

(٦) هو : سعيد بن مسعدة الجاشعي - ت ٣١٥هـ - انظر : طبقات النحويين واللغويين :

ص ٧٢ - ٧٤ .

(٧) توفي سنة ٢٠٤هـ .

يأتوا بالأسانيد » .

غريب الحديث لأبي عبيد :

ثم توالى التأليف في غريب الحديث من كثير من العلماء^(١) ، إلا أنهم كانوا متشابهين في تأليفهم ومناهج تأليفهم ، إلى أن جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ ، فألف كتابه : (غريب الحديث) وجمع فيه عامة ما في كتب السابقين ، وفسر الألفاظ الغريبة في حديث رسول الله ﷺ ، مع ذكر الأسانيد ، زيادة في توثيق الحديث ، واستغرق منه ذلك : أربعين عاما .

وقد قسم كتابه إلى قسمين :

الأول : خاص بالأحاديث المسندة إلى رسول الله ﷺ .

والثاني : الأحاديث المسندة إلى الصحابة والتابعين ، مع أفراد كل واحد منهم بأحاديثه .

وبذلك « أجاد تصنيفه فرغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه »^(٢) .

وإليك نموذجا مما كتبه أبو عبيد في كتابه : (غريب الحديث) :

قال أبو عبيد - في حديث النبي ﷺ : « إن أبغضكم إلى الثرثارون المتفهبون »^(٣) - :

حدثناه يزيد عن داود بن أبي هند عن مكحول عن
أبي ثعلبة الحشنى قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَبْغَضَكُمْ
إِلَى الثَّرَثَارُونَ الْمُتَفَهِّقُونَ » .

(١) انظر : الفهرست للنديم : ص ٢٩٦ ومقدمة تحقيق النهاية في غريب الحديث : ص ٣ - ٨ .

(٢) تاريخ بغداد : ١٢ / ٤٠٥ .

(٣) المخطوط رقم ١٢٤ حديث ق ورقة : ٦ ، ٧ بدار الكتب المصرية .

قال الأصمعي : أصل الفهق : الامتلاء بمعنى المتفهيق :
الذي يتوسع في كلامه ، ويفهق به فمه ونحو ذلك .

قال الأعشى :
تروح على آل المَحَلِّقِ جَفَنَةً كجَايَةِ الشيخ العراقي تَفْهُقُ^(١)
يعنى : الامتلاء .

وقال غيره (أى غير الأصمعي) : الثرثار المكثار في
الكلام .

وقال الفراء مثل قول الأصمعي أو نحوه .

قال أبو عبيد : وهذا يؤول إلى المعنى الذى فسرهُ
الأصمعي وغيره ، لأن ذلك إنما يكون من التكبر .



وقال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ في مكة : « لا تزول حتى يزول
أخشباها » :

قال الأصمعي : الأخشب : الجبل ، قال : وأراه يعنى
الغليظ .

وأنشد الأصمعي :

* وتحسب فوق الشَّوْل منه أَعْشَبَا *

يعنى البعير ، شبه ارتفاعه فوق النوق بالجبل .



(١) الجَفَنَةُ : أعظم ما يكون من القصاص ، والجاية : الحوض الضخم ، تفهق : أى تمتلئ الجفنة -
اللسان : (جى ، جفن) .

وقال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ « إِذَا دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ تَبَرَّقَ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ » .

قال : حدثناه حجاج عن أبي جريح عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ قال : فكان ابن عينة يحدثه عن الزهري ولا يذكر أساريير وجهه .

وقال أبو عمرو : هي الخطوط التي في الجبهة ، مثل التكسر فيها ، واحدها سِرْرٌ وسُرٌّ ، وجمعه : أسرار وأسيرة .

قال : وكذلك الخطوط في كل شيء ، قال عترة : بزجاجة صفراء ذات أسيرة قرنت بأزهر في الشمال مقدّم ثم الأساريير : جمع الجمع .

وقال الأصمعي - في الخطوط التي في الكف - : هي مثلها ، قال الأعشى :
فانظر إلى كفٍّ وأسارِها هل أنت إن أوعدتني ضايرى
يعنى خطوط باطن الكف . انتهى .

ومن هذا النموذج يتبين لنا أن أبا عبيد :

- ١ - كان يذكر إسناد بعض الأحاديث ويهمل إسناد بعضها الآخر .
- ٢ - وأنه كان يفسر الألفاظ الغريبة - في حديث رسول الله ﷺ - تفسيراً لغوياً مسهباً ، مستعينا - في ذلك التفسير - : بآراء من تقدموه من اللغويين مثل : الأصمعي (عبد الملك بن قريب - ت ٢١٦ هـ) . والفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد - ت ٢٠٧ هـ) .

- ٣ - وأنه كان يستشهد بأشعار العرب في كثير من الأحيان .
- ٤ - وأنه لم يرتب الألفاظ المفسرة أى ترتيب كان ، يسهل وصول القارئ إلى مبتغاه من أقصر طريق .

غريب الحديث لابن قتيبة :

وعلى الرغم من أن كتاب أبي عبيد لم يكن مرتباً ترتيباً معجمياً يسهل الوصول إلى كل كلمة فيه : إلا أنه بقي في أيدي الناس ، يرجعون إليه ويعدونّه مصدرهم الوحيد في غريب الحديث ، إلى أن جاء ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم - ت ٢٦٦هـ) فصنف كتاباً في غريب الحديث والآثار ، اقتفى فيه أثر أبي عبيد « ولم يودعه شيئاً من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد ، إلا ما دعت إليه حاجة من زيادة شرح وبيان ، أو استدراك ، أو اعتراض ، فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر منه ، وقال في مقدمته . . . أرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال »^(١) .

هذا وقد بحثت عن هذا الكتاب في مظان وجوده ، ولكنني لم أعر على أثره ، ويبدو أنه فقد في رحلة الزمان فلم يصل إلينا .

النهاية في غريب الحديث لابن الأثير :

وظل التأليف في غريب الحديث يمتد الخطى نحو الكمال حتى انتهى إليه - تقريباً - في كتاب : (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ٥٤٤ - ٦٠٦هـ) ذلك الذي اطلع على ما سبقه من تأليف في غريب الحديث فاستفاد منها ، وزاد عليها « في استقصاء معجز ، ودأب مشكور بحيث جاء كتابه بحق : النهاية في هذا الفن الشريف ، ولم تند عنه إلا أحاديث يسيرة ذكرها السيوطي في (الدر النثير) وفي (التذيل والتذييل »^(٢) .

ولم يذكر التاريخ أن أحداً صنف في هذا الفن بعد ابن الأثير سوى ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)^(٣) ذلك الذي عدّت يد الحدثان على كتابه فلم يصل إلينا^(٤) .

(١) النهاية في غريب الحديث : ٦ / ١ .

(٢) مقدمة محققى النهاية في غريب الحديث : ص ٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ص ٨ .

(٤) انظر : المعجم العربى - د . حسين نصار : ١ - ٦٠ .

وكل الجهود التي بذلت - في هذا الفن بعد ذلك - إنما كانت عبارة عن تذييلات على كتاب النهاية أو اختصارات له^(١).

تأثره :

تأثر ابن الأثير - في تأليفه لكتابه - بعالمين جليلين سبقاه في هذا المجال ، وخطّوا بهذا العلم خطوات واسعة قفزت به إلى الأمام وهما :

١ - أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ) صاحب كتاب : غريب القرآن والحديث ، الذي وصفه ابن الأثير^(٢) : بأنه « رتبة مقفّى على حروف المعجم ، على وضع لم يُسبق - في غريب القرآن والحديث - إليه ، فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها ، وأثبتها في حروفها وذكر معانيها :

إذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف : معرفة الكلمة الغريبة لغة وإعرابا ، لا معرفة : متون الأحاديث والآثار / وطرق أسانيدھا / وأسماء رواتھا ؛ فإن ذلك علم مستقل بنفسه ، مشهور بين أهله » .

٢ - أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني (المتوفى ٥٨١ هـ) . ذلك الذي جمع في كتابه : عن غريب القرآن والحديث - « ما فات الهروي من غريب القرآن والحديث وما يناسبه قدرا وفائدة ، ويمثله حجما وعائدة ، وسلك في وضعه : مسلكه وذهب فيه مذهبه ورتبه كما رتبه ثم قال : وأعلم أنه سيبقى بعد كتابي أشياء لم تقع لي ، ولا وقفت عليها ، لأن كلام العرب لا ينحصر ، ولقد صدق رحمه الله ، فإن الذي فاتته من غريب الحديث كثير »^(٣) .

(١) انظر : مقدمة تحقيق النهاية : ص ٨ .

(٢) النهاية في غريب الحديث : ٨ / ١ .

(٣) المرجع السابق : ص ٩ .

وابن الاثير لم يتأثر بمنهجيهما فقط ، بل إنه استقى معظم مادة كتابه من كتابيهما بعد تجريدهما من غريب القرآن^(١) .

منهج ابن الاثير :

نهج ابن الاثير - في كتابه - مسلك الكتابين السابقى الذكر (للهروى والأصفهاني) حيث قال في مقدمة كتابه^(٢) :

سلكت طريق الكتابين في الترتيب الذى اشتملا عليه
والوضع الذى حوياه من :

١ - التقفية على حروف المعجم ، بالتزام الحرف الأول
والثانى من كل كلمة ، واتباعهما بالحرف الثالث منها
على سياق الحروف .

إلا أنى وجدت فى الحديث كلمات كثيرة فى أوائلها
حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها
من نفسها ، وكان يلتبس موضعها الأصل على طالبا ،
لا سيما وأكثر طلبية غريب الحديث لا يكادون يفرقون
بين الأصل والزائد ، فرأيت أن أثبتها فى باب الحرف
الذى هو فى أولها وإن لم يكن أصليا ونهت عند ذكره
على زيادته لئلا يراها أحد فى غير بابها فيظن أنى وضعها
فيه للجهل بها ، فلا أُنسَب إلى ذلك ، ولا أكون قد
عرضت الواقف عليها للغيبة وسوء الظن

٢ - وجعلت على ما فيه^(٣) من كتاب الهروى
(هاء) وعلى ما فيه من كتاب أبى موسى^(٤)

(١) انظر : النهاية : ١٠/١ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ١١ ، ١٢ .

(٣) أى ما فى كتابه : (النهاية) .

(٤) هو : أبو موسى الاصفهاني .

(سينا) ، رما أضفته من غيرهما : مهملا بغير علامة
ليتميز ما فيهما عما ليس فيهما .

٣ - وجميع ما في هذا الكتاب من غريب الحديث والآثار
ينقسم إلى قسمين : أحدهما : مضاف إلى مسمى ،
والآخر غير مضاف ، فما كان غير مضاف فإن أكثره
والغالب عليه أنه من أحاديث رسول الله ﷺ ، إلا
الشيء القليل الذي لا تُعرف حقيقته ، هل هو من
حديثه أو حديث غيره ، وقد نبهنا عليه في مواضعه .

وأما ما كان مضافا إلى مسمى : فلا يخلو : إما أن
يكون ذلك المسمى هو صاحب الحديث واللفظ له ،
وإما أن يكون راويا للحديث عن رسول الله ﷺ أو
غيره ، وإما أن يكون سببا في ذكر ذلك الحديث أضيف
إليه ، وإما أن يكون له فيه ذكر عرف الحديث به
واشتهر بالنسبة إليه .

وإليك نموذجاً من هذا الكتاب ، يتضح فيه منهج ابن الأثير ، الذي ذكره في
مقدمة كتابه :

من حرف الهمزة :

باب الهمزة مع الباء^(١)

(أبرد) (س) فيه : « إِنَّ الْبَطِيخَ يَقْلَعُ إِلَّا بَرْدَةً » .

الإبردة - بكسر الهمزة والراء - علة معروفة من غلبة
البرد والرطوبة تُفْتَر عن الجماع ، وهزمتها زائدة وإنما
أوردناها هاهنا حملا على ظاهر لفظها .

(١) النهاية في غريب الحديث .

تعليق :

١ - ذَكَرَ هنا حرف (س) إشارة إلى أنه أخذ هذا عن كتاب أبي موسى الأصفهاني .

٢ - لم يُضَف هذا الحديث إلى مُسمى ، وهذا دليل على أنه من أحاديث رسول الله ﷺ ، ولو شك فيه هل هو من حديثه أو حديث غيره : لَنَبَّهَ على ذلك .

٣ - أن الكلمة الغريبة هنا (الإبردة) من مادة (بَرَدَ) وكان حقها أن يأتي بها في باب (الباء مع الراء والذال) ، ولكنه أتى بها هنا حملا على ظاهر لفظها ، ونبه إلى أن همزتها زائدة حتى لا يظن أحد أن ابن الأثير يجهل هذه الحقيقة .

(انتهى التعليق)

(أبرز) (هـ) فيه : « وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ
الإبريز » أى : الخالص ، وهو الإبريزى أيضا ، والهمزة والياء زائدتان .

تعليق :

١ - ذكر هنا حرف (هـ) إشارة إلى أخذه عن كتاب : الهروى .

٢ - لم يُضَف هذا الحديث إلى مسمى أيضا ، دلالة على أنه من أحاديث الرسول ﷺ .

٣ - نبه - أيضا - إلى أن هذه الكلمة من مادة (برز) وأن الهمزة والياء فيها زائدتان .

(انتهى التعليق)

(أبس) في حديث جُبَيْر بن مُطْعَم قال : « جاء رجل إلى قريش من فتح خيبر ، فقال : إن أهل خيبر أسروا

رسول الله ﷺ ، ويريدون أن يرسلوا إلى قومه ليقتلوه ،
فجعل المشركون يُؤبسون به العباس .

أى : يعيرونه ، وقيل : يخوفونه ، وقيل يرغمونه ،
وقيل : يفضونه ويحملونه على إغلاظ القول له . يقال :
أبسته أبسا ، وأبسته تأيسا .

تعليق :

- ١ - لم يذكر هنا حرفي (س أو هـ) إشارة إلى أنه أخذ هذا عن غير كتابيهما .
- ٢ - أضاف هذا الحديث إلى مسمى ؛ هو صاحب الحديث وهو : جبير بن مطعم .

ملحوظات عامة على الكتاب :

أولا : نلاحظ من كل ما سبق : أنه رتب الألفاظ ترتيب معجميا ، على حسب ترتيب مدرسة المعجمات الألفبائية ، مما يسهل الأمر على من يرتاد هذا الكتاب ، بحيث يصل إلى مبتغاه - فيه - بسهولة ويسر .

ثانيا : كما أنه اعتنى بشرح الألفاظ شرحا لغويا سهلا ، وإن كان خاليا من الشواهد الشعرية أو غيرها .

ثالثا : أنه لم يقتصر على ذلك الشرح ، وإنما تعداه إلى مناقشة المسائل الفقهية وإثارة القضايا الصرفية ، ومحاولته التوفيق بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر ، وذلك في إيجاز واف بليغ^(١) .

- فمثال مناقشته للمسائل الفقهية ما ورد في : حرف السين ، باب السين مع الباء^(٢) :

(١) انظر : مقدمة المحققين : ص ٧ ، ٨ .

(٢) النهاية في غريب الحديث : ٢ / ٣٣٧ .

وفيه « نهي عن جلود السباع » : السباع تقع على الأسد
والذئب والثور وغيرها .

وكان مالك يكره الصلاة في جلود السباع وان دُبِعَتْ
ويمنع من بيعها .

واحتج بالحديث جماعة ، وقالوا : إن الدبّاغ لا يؤثر فيما
لا يؤكل لحمه .

وذهب جماعة : إلى أن النهي تنولها قبل الدبّاغ ، فأما إذا
دبغت فقد طهرت .

وأما مذهب الشافعي : فإن الدبّاغ يطهر جلود الحيوان
المأكول وغير المأكول ، إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما ،
والدبّاغ يطهر كل جلد ميتة غيرهما .

وفي الشعور والأوبار خلاف : هل تطهر بالدبّاغ أم لا .

وقيل إنما نهي عن جلود السباع مطلقا ، وعن جلد الثور
خاصا ، وردّ فيه أحاديث ، لأنه من شعار أهل السرف
والخيلاء .

- وأما مثال إثارته للقضايا الصرفية : فانظر مادة : رم^(١) حيث إنها قضية
طويلة ، لا يسعها المقام هنا .

- وأما مثال محاولته التوفيق بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر ، فقوله في
مادة (رقى)^(٢) : (حرف الراء - باب الراء مع القاف) .

فيه « مَا كُنَّا نَأْبَهُ^(٣) بِرُقِيَّةٍ » قد تكرر ذكر الرُقِيَّة
والرُقَى والرُقَى والاسترقاء في الحديث .

(١) النهاية في غريب الحديث : ٢ / ٢٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٣) أي : نعيه ومعنى الحديث : ما كنا نعلم أنه يرق فعليه بذلك - المرجع السابق : ١ / ١٧ .

والرُّقِيَّةُ : العودَةُ التي يُرْقَى بها صاحب الآفة ، كالحُمَى والصَّرْع وغير ذلك من الآفات .

وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها ، وفي بعضها النهي عنها : (س) فمن الجواز قوله « اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ » أى : اطلبوا لها من يرقىها .

(س) ومن النهي قوله : « لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتُونُ » .

والأحاديث في القسمين كثيرة ، ووجه الجمع بينهما :

أن الرُّقَى يُكره منها ما كان بغير اللسان العربى وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة / وأن يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها ، وإياها أراد بقوله : « مَا تَوَكَّلْ مَنْ اسْتَرْقَى » / ولا يكره منها ما كان في خلاف ذلك كالنعوذ بالقرآن ، وأسماء الله تعالى ، والرقى المروية ، ولذلك قال للذى رَقَى بالقرآن وأخذ عليه أجرا : « من أخذ بِرُقِيَةٍ باطل فقد أخذت بِرُقِيَةٍ حق » .

وأما الحديث الآخر في صفة أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتُونُ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

فهذا من صفة الأولياء المُعْرِضِينَ عن أسباب الدنيا ، الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها ، وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم ، فأما العوام فمرخص لهم في التداوى والمعالجات ، ومن صبر على البلاء ، وانتظر الفرج من الله بالدعاء : كان من جملة الخواص والأولياء ومن لم

يصبر رُحْص له بالرقية والعلاج والدواء .

ألا ترى أن الصَّدِّيق^(١) لما تُصَدَّق بجميع ماله لم ينكر عليه^(٢) ، علما منه بيقينه وصبره ، ولما أتاه الرجل^(٣) بمثل بيضة الحمام من الذهب وقال : لا أملك غيره ، ضربه به بحيث لو أصابه عقره ، وقال فيه ما قال لا ؟!

انتهى



(١) هو أبو بكر رضى الله عنه أول الخلفاء الراشدين .

(٢) أى : لم ينكر رسول الله ﷺ على أبى بكر تصدقه بجميع ماله .

(٣) أى : رجل آخر غير أبى بكر رضى الله عنه .

الفصل الثالث

معاجم الموضوعات العربية القديمة

البداية .. والنهاية

معاجم الموضوعات : هي التي كان يكتبها جُماع اللغة وعلمائها ، وذلك لتحقيق الأغراض التالية :

١ - حفظ اللغة في بطون الكتب ؛ خوفاً عليها من الضياع ، خاصة بعد أن اختلط العرب بالعجم ، وبدأت العربية تفقد كثيراً من ألفاظها واستعمالاتها .

٢ - الاستعانة بهذه الألفاظ العربية الصميمة على تفسير كتاب الله ، وحديث رسول الله ﷺ .

٣ - تزويد علماء النحو بمدد كاف ، لتقعيد قواعد النحو العربي ، خوفاً من سريان اللحن في الألسنة ، وتيسيراً لتعلمها من غير العرب .

مراحلها :

وقد مرت هذه المعاجم الموضوعية بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : الرسائل اللغوية :

وهي التي كانت تجمع فيها الكلمات حينما اتفق « فاعالمٌ يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر ، ويسمع كلمة في اسم السيف وأخرى في الزرع والنبات ، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ ، إلى غير ذلك فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع »^(١) .

(١) أحمد أمين - ضحى الإسلام : ٢ / ٢٦٣ .

وقد يرحل البدوى إلى الحضر لسمع منه العلماء ويدونوا ما سمعوه منه .

ويمثل تلك المرحلة : كتب النوادر ، التى بدأ التأليف فيها « فى القرن الثانى من الهجرة ، أى فى الوقت نفسه الذى نهض فيه رواة اللغة وعلمائها لتدوين اللغة العربية ، ونشطوا لجمعها فى الكتب »^(١) .

وأول من بدأ التأليف فى هذا النوع من كتب اللغة : أبو عمرو بن العلاء التيمى ، البصرى (ت ١٥٤هـ) .

ثم كثّر التأليف فى النوادر على مر الأيام ، واستمر فى زيادة مطردة طوال قرن من الزمان ، أى إلى أواسط القرن الثالث الهجرى ، ثم بدأ يخبو - بعد ذلك - رويدا رويدا إلى أن جاء القرن الرابع الهجرى ، فإذا بالتأليف فيها يضعف جدا ، حتى إنه لا يكاد يوجد إلا القليل من علماء هذا القرن الذين ألفوا فيه .

وكان ختامهم هو : صاعد بن الحسن الأندلسى (ت ٤١٠هـ) .

وبين أبى العلاء وصاعد - هذا - : ما يربو على ثلاثة وأربعين عالما ألفوا فى النوادر^(٢) .

مثال للعلماء الذين ذهبوا إلى البادية :

وخير مثال يمكن أن يساق فى هذا المجال هو عالم العربية : أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، الذى توفى بالبصرة سنة ٢١٥هـ ، (على أحد الأقوال) بعد أن عاش عمرا طويلا قارب المائة^(٣) . « وكان أنحى من أبى عبيدة

(١) د . عزه حسن - مقدمة كتاب النوادر لأبى مسحل الأعرابى : ص ٢٤ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦١م .

(٢) انظر : مقدمة كتاب النوادر لأبى مسحل : ص ٢٤ - ٣٠ .

(٣) وفيات الأعيان - لابن خلكان - بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد : ٢ / ١٢٢ نشر النهضة المصرية .

والأصمعي وأغزر في اللغات منهما ، وله كتب كثيرة^(١) ونوادير في اللغة مشهورة^(٢) .

ومن أشهر كتبه : كتاب النوادر في اللغة الذي اشتمل على خمسة عشر بابا :

ثلاثة منها خاصة بالشعر وكان يفتتحها قائلا : باب شعر .

وسبعة خاصة بالرجز ، ويبتدئها قائلا : باب رجز .

والخمس الباقية خاصة بالنوادر - ويفتتحها قائلا : باب نوادر .

كما أن الابواب التي سمعها من العرب كان ينوه عنها قائلا : (سماع أبي زيد من العرب) .

وأما التي سمعها من الرواة : فإنه كان ينسبها إلى أصحابها في بداية الباب .

ويبدو أن هذا الكتاب لم يكتبه أبو زيد بنفسه ، وإنما رواه عنه الرواة ، ومصداق ذلك ما نجده في بداية كتابه^(٣) : « أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن محمد ابن أحمد بن بسام . قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي قال : أخبرني الثَّوْرِي وأبو حاتم السجستاني عن أبي زيد قال - [أي أبو زيد] - :

وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين البصري ، المعروف بالسكري ، عن الرياشي وأبي حاتم عن أبي زيد قال أبو سعيد :

هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعته من الْمُفَضَّل بن محمد الضبي ، ومن العرب .

(١) انظر : هذه الكتب - التي بلغت ١٩ كتابا - وأسماءها في : المرجع السابق : ص ١٢١ .

(٢) طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي - بتحقيق : محمد أبو الفضل ص ١٦٥ ط ٢ نشر دار المعارف بمصر .

(٣) كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد - بتصحيح : سعيد الخوري الشرتوني : ص ٢ - طبع المطبعة الكاثوليكية - بيروت سنة ١٨٩٤ هـ .

ونلاحظ هنا : أن الكتاب روى من طريقين : طريق التَّوْزِي (عبد الله بن محمد القرشي - ت ٢٣٣هـ) وأبي حاتم السجستاني (سهل بن محمد بن عثمان - ت ٢٥٥هـ)^(١) .

وطريق أبي حاتم والرياشي (أبو الفضل : العباس بن الفرّج - ت ٢٥٧هـ)^(٢) .

وهذا يزيده توثيقاً ، ويرفع من مكانته .

نموذج من كتاب نوادر أبي زيد :

١ - باب شعر

قال أبو زيد : أنشدني المفضل^(٣) لضمرة بن ضمرة

النهشل وهو جاهل :

بَكَرْتُ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلْتُ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي^(٤)
أَصْرَهَا وَبُنَيْ عَمِّي سَاغِبٌ فَكُفَّاكَ مِنْ إِبَّةٍ عَلَيَّ وَعَابِ^(٥)

قال أبو الحسن^(٦) :

أَرَأَيْتَ إِنْ صرَحْتُ بِلَيْلِ هَامَتِي وَخَرَجْتُ مِنْهَا عَارِيَا أَتَوَانِي

(١) طبقات النحويين واللغويين - ص ٩٤ - ٩٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٩٧ - ٩٩ .

(٣) هو : المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم بن أبي سلمى بن ربيعة بن زيان بن عامر بن ثعلبة الضبي - ت ١٦٨هـ - المرجع السابق ص ١٩٣ .

(٤) بكرت تلومك : عجلت تلومك - بعد وهن : بعد نومة - في الندى : في الكرم - بسل عليك : حرام عليك .

(٥) أصرها : أمتعها وأحبسها أي ناقى - ساغب : جائع - الإبّة الخزى والحياء - العَابُ : العيب .

(٦) يبدو أنه : أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، أحد أفراد سلسلة الرواية عن أبي حاتم عن أبي زيد كما ذكرت سابقاً .

رجعت الرواية إلى أبي زيد :

هَلْ تُحْمِشْنَ إِلَيَّ وَجُوهَهَا أَمْ تُغْصِنَنَّ رُؤُسَهَا بِسَلَابٍ^(١)

ثم نرى بعد ذلك شرحا مطولا لهذه الآيات من أبي حاتم السجستاني ، وبعد الانتهاء من الشرح يعود الراوى إلى ما روى عن أبي زيد فيقول^(٢) : رجعت الرواية إلى أبي زيد « ثم يروى آياتا أخرى من إملاء أبي زيد يعقبها الراوى بالشرح اللغوى . . وهكذا .

والملاحظ فى هذا النموذج : أن أبا زيد صرح باسم الشاعر ، ونسبه إلى قبيلته ، وذكر عصره الذى استظل بظله حيث قال : (وهو جاهلى) .

٢ - باب رجز^(٣)

سماع أبي زيد من العرب .

قال الراجز :

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مَذْأَمًا عَجَائِزًا مِثْلَ الْأَفَاعِي حُمْسًا
يَاكُلْنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسًا لَا تَسْرُكُ اللَّهُ لَهْنَ ضِرْسًا

وبعد شرح هذه الآيات - من الراوى على ما أعتقد ، حيث لم يذكر الشارح هنا صراحة - يعود الراوى إلى أبي زيد مرة أخرى ، فى نادرة من نواته الرجزية ، حيث يقول^(٤) : « أبو زيد ، وقال آخر » .

وهذا ما جعلنى أرجح أن الشرح ليس من أبي زيد ، فلو كان منه لما احتاج الراوى إلى أن يذكر أبا زيد مرة أخرى بعد الانتهاء من الشرح .



(١) الخمش : الخدش فى الوجه - السلاب : الثياب السود التى تلبسها النساء فى المآتم .

(٢) انظر : كتاب النوات فى اللغة : ص ٦ .

(٣) انظر المرجع السابق - نفسه .

(٤) المرجع السابق ص ٥٧ .

٣ - باب نوادر^(١)

أبو زيد : قال الكلايون^(٢) المهروس والمجشوش واحد
وهى هريسة وجشيشة . وقال أبو المضاء الكلاي : الهريس
والجشيش : الحب حين يُدق بالمهراس قبل أن يطبخ ، فإذا
طبخ فهو هريسة وجشيشة إذا جشوه .

وقال : استقبلت الماشية الوادى فأنا أستقبلها إياه .
وأقبلتها الوادى إقبالا ، إذا أقبلت بها نحوه ، وقبلة الماشية
الوادى تُقبله قبولا إذا استقبلته هى ، قال الراجز :
إذا سمعن زأره تعديدا فى زفرة يُقبلها الكؤودا
رفعن أمثال الخوافى سودا

أبو حاتم : إذا سمعن زأرة . والكؤود : العقبة الشاقة .

فأنت ترى هنا أن أبا زيد أتى بنوادر لغوية عن العرب ، ونسبها إلى أصحابها ،
واستشهد عليها برجز لم يذكر اسم صاحبه .

وقد سبق رأى أبى حاتم فى تصحيح كلمة (زأره) ، والذي يذهب إلى أنها :
(زارة) بالتاء المربوطة ، بدلا من (زأره) بالهاء المربوطة ، ثم فسر الكلمة التى
تحتاج إلى تفسير فى البيت وهى كلمة الكؤود .

وبعد ذلك التعليق والشرح ، يعود الراوى إلى النوادر مرة أخرى ، فيقول :

ويقال : تافت نفسى إلى ذلك ثوقا وثوقانا وثووقا .

ويقال : أثبَّ فلانُ فلانا شقوره وفقوره ، إذا شكا إليه
الحاجة .

(١) كتاب النوادر فى اللغة : ص ٨١ .

(٢) هم : بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . . كانت ديارهم جسمى ضرية وغيرها -
انظر : معجم قبائل العرب - عمر رضا كحالة : ٣ / ٩٨٩ .

والملاحظ على هذه النوادر : أنها تذكر عدة أوجه لغوية وصرفية للكلمة ، ولا يمكن طبعاً أن تكون هذه الأوجه كلها لقبيلة واحدة ، وإنما كل وجه لقبيلة ، وقد جمع أبو زيد بينها ، ولذلك لم ينسبها إلى قائلها .

أما البدو الذين رحلوا إلى الحضرة ؛

ليسمع العلماء منهم ؛ ويجلسوا إليهم : فخير مثال لهم : أبو مسحل الأعرابي (عبد الوهاب بن حريش) « من بنى ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر ، وهم من أحياء بنى عامر بن صعصعة ، ومنازلهم في نجد وهو من الأعراب الفصحاء ، الذين وردوا الأمصار من البادية ، وشاركوا في الحركة الخصبة التي نشطت في هذا الدور لجمع اللغة وتدوينها في أمصار العراق »^(١) .

وقد كان أبو مسحل على ظهر الحياة في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث من الهجرة^(٢) .

وقد أخذ عنه كثير من العلماء المشاهير في عصره ، ومنهم أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وأبو العباس إسحق بن زياد الأعرابي^(٣) ، وأبو عبد الرحمن أحمد بن سهل^(٤) ، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) .

وقد روى هؤلاء الثلاثة كتاب النوادر عن أبي مسحل .

كما أنه التقى بالأصمعي ودارت بينهما مساجلات لغوية^(٥) .

وكتاب النوادر^(٥) هذا كتاب في اللغة ، والمادة اللغوية

فيه : تمثل لغة البادية في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها

(١) كتاب النوادر - بتحقيق د . عزه حسن - مقدمة التحقيق : ص ٥ ، ٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٦ .

(٣) لم أعثر لهما على ترجمة .

(٤) مقدمة كتاب النوادر : ص ٨ ، ٩ .

(٥) المرجع السابق : ص ١٢ .

وعباراتها ، وأمثالها وأساليبها تمثيلا جيدا .

والكتاب - بمجموعه - أثبت وأوسع نص لغوى وصل
إلينا عن المرحلة الأولى لجمع اللغة وتدوينها ، في بدء ازدهار
الحضارة العربية ، في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث من
الهجرة .

وهو يعد بذلك مثالا جيدا للخطبة البدائية التي اتبعها
الرواة والعلماء - في بادئ الأمر - لجمع اللغة وتدوينها .
وهو صنو « كتاب النوادر » لأبي زيد الانصاري في هذه
الأمر جميعا ، إلا أنه أوسع منه حجما ، وأغنى مادة .

وهو بعد : مروي عن مؤلفه الأعرابي الصميم مباشرة ،
بطريق علماء أفذاذ كبار أمثال : أبي العباس أحمد بن يحيى
ثعلب (ت ٢٩٠هـ) .

وقد تداوله علماء أيضا ، أمثال أبي عمر الزاهد (ت
٣٤٥هـ) غلام ثعلب ، وأبي عبد الله بن خالويه (ت
٣٧٠هـ) وقرؤوه وصححوه^(١) .

نماذج من كتاب النوادر عن أبي مسحل :

١ - من رواية ثعلب

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، قال أبو محمد
عبد الوهاب بن حريش المعروف بأبي مسحل وهو لقب
له^(٢) .

(١) مقدمة كتاب النوادر : ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق : ١ / ١ - ٣ .

يقال : شطُّ النهر ، وشاطِئُهُ ، وعبرُهُ ، وبينُهُ وجِيزُهُ ،
وجِيزَتُهُ ، وصَفُّهُ ، وصَفَّتُهُ ، وضيْفُهُ ، وحافَّتُهُ وُجْدَتُهُ ،
وَجْدُهُ ، وِجْدُهُ . وذلك في معنى : ناحيته .

ويقال : فلان كَفِيلٌ ، وصِيرِي وَجَرِّي وزَعِيمِي
وَحَمِيلِي ، وَقِيلِي ، وأَذِينِي . كل هذا بمعنى واحد .

ويقال : خذ هذا عند أول صَوْكٍ ، وبَوْكٍ وَعَوْكٍ
وصائِكَ ، وبائِكَ ، وواهَلَةٍ ، ووهله . ومعناه : خذه قبل كل
شيء .

ويقال للعظيم البطن : رجل عِفْضَاجٍ ، ومِفْضَاجٍ
وفَضِيجٍ ، ودِخْدَاحٍ وجَنْبِجٍ ، وحنِطاً ، وقَنْجَرٍ .

ويقال : حايِت الصَّيْدِ ، وساقِته وشاجرتِه وذلك إذا
سرت معه مجانباً تَحْتَلُهُ . ويقال : بعير مِسْوَقٍ أى يساق
الصيد .

ويقال : بارت السوق والبيع ، وعُفِرَتْ وانْحَمَقَتْ
وَحَمَقَتْ وَحُمَقَتْ البيع ، وبيع أحمق ، وذلك إذا كسد ،
ويقال : نام البيع ، كذلك .

٢ - من رواية أبي العباس بن الأعرابي

قال أبو العباس بن الأعرابي^(١) أخو أبي عبد الله بن
الأعرابي^(٢) ، أَمَلْ علينا أبو مسحل قال^(٣) :

سمعت الكسائي يقول في الماشية إذا كثرت : قد أوشت

(١) هو أبو العباس إسحق بن زياد .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن زياد ، يعرف بابن الأعرابي ، من علماء الكوفة المشهورين .

(٣) كتاب النوادر لأبي مسحل : ١ / ١٧٧ ، ١٨٨ .

ماشية فلان ووشت ، وأتت ، وأمشت ، ومشت وضنأت ،
وضنّت تُضنى لغة ، إذا كثرت . كل ذلك قال .

ويقال : قد قُلص الظل وأنى ، وعقل واسمأل وأكرى ،
وذلك إذا قام واعتدل .

٣ - من رواية أبى عبد الرحمن أحمد بن سهل^(١)
صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام^(٢)

وهذا من كتاب أبى عبد الرحمن صاحب أبى عبيد
بخطه^(٣) :

قال أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش ، وكنيته
أبو محمد ، وأبو مسحل لقب .

يقال : أتتى جنادع فلان وقناذعه وعقاربه ، وزنابره ،
ومعناه : قوارصة . والواحد قُنْدَعٌ ، وَجُنْدَعٌ ، وفي القناذع
قُنْدَعَةٌ ، وقُنْدَعَةٌ .

وجنادع الضَّبِّ : دواب تخرج قبله .

ويقال : وَلِع فلان في الكذب ، وَوَلَّى ، وبرك وابترك
فيه . وذلك إذا جرى فيه وأولع به . وروى عن عائشة :
﴿ إِذْ تَلَقَّوْهُ بِالسَّيِّئِ كُمْ ﴾^(٤) .

ويلاحظ : أن نوادر أبى مسحل الأعراى ، مليئة بالمترادفات التى تدل على

(١) لم يذكر شيء عن حياته أو وفاته - انظر تاريخ بغداد ٤ / ١٨٤ .

(٢) توفى سنة ٢٢٤هـ - طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٠٠ .

(٣) كتاب النوادر لأبى مسحل : ١ / ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٤) سورة النور / ١٥ ، والآية : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْهُ بِالسَّيِّئِ كُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتُخَسِّبُونَهُ هَيَاتًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

معنى واحد ، وهذا لا يدل على لغة قبيلته وحدها ، وإلا كانت القبيلة تستخدم أكثر من لفظ فى معنى واحد ، وليست فى حاجة إلى ذلك ، وإنما المتحقق أن تلك ألفاظ تخص قبائل مختلفة ، حيث أطلقت كل قبيلة لفظا معنا ؛ على الشئ المشترك الذى تراه العرب أو تحسه جميعها ، ولكن ما تلك القبائل ؟ وما ألفاظها ؟ لا يكاد أحد من الباحثين فى هذا المجال يصل إلى لب الحقيقة فى هذا الأمر .

ولذلك يؤخذ على أبى مسحل وأبى زيد وأضرابها ، أولئك الذين :

دونوا اللغة ، أنهم اعتبروا العربية وَحدة واحدة ، مع اختلاف القبائل ألفاظا وتراكيب ولهجة فلم يرسم لنا الراحل من العلماء خطة سيره وأبى القبائل نزل بينها ، وما هى الألفاظ واللهجات التى أخذها عنها ؟ وما الألفاظ واللهجات التى أخذها عن القبيلة الأخرى ؟

وما رحل البدوى إلى المصر (لم يقل أحد لنا) ماذا أخذ عنه من الألفاظ واللهجات ؟ ومن أبى قبيلة كان ؟ نعم وردت شذرات من هذا القليل ولكنها قليلة جدا لا تكفينا لتفريق اللغة على القبائل .

لو فعلوا ذلك : لاستفدنا فوائد كثيرة فعرفنا كل ما يختص بالقبيلة من ألفاظها ولهجاتها ، وعرفنا المترادفات ومنشأها ، وعرفنا الألفاظ التى امتازت بها كل قبيلة وعرفنا سببها الخ ، ولاستتج الباحث من ذلك كله أشياء قيمة جدا ، ولكنهم لم يفعلوا ، وساروا فى جمعهم على نظرية وحدة اللغة ، بقطع النظر عن اختلاف القبائل^(١) .

(١) أحمد أمين - ضحى الاسلام : ٢ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

المرحلة الثانية من مراحل معاجم الموضوعات الرسائل ذات الموضوع الواحد

في هذه المرحلة كانت تجمع « الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد . . . والذي دعا إلى هذا في اللغة - على ما يظهر - أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى ، فأرادوا تحديد معانيها ، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد »^(١) .

وقد ألفت في هذا رسائل كثيرة وغفيرة ، منها :

- ١ - كتاب الدارات للأصمعي .
- ٢ - كتاب النبات والشجر للأصمعي .
- ٣ - كتاب النخل للأصمعي .
- ٤ - كتاب الكرم للأصمعي .
- ٥ - كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري .
- ٦ - كتاب اللبأ واللبن لأبي زيد الأنصاري .
- ٧ - كتاب الرحل والمزل لأبي عبيد القاسم بن سلام .

فكتاب الدارات : عبارة عن ثلاث صفحات جمع فيها الأصمعي دارات العرب المعروفة ، والتي ورد ذكرها في أشعارهم .

وهذه الدارات لم يذكرها أصحاب معاجم البلدان كياقوت الحموي والبكري وغيرهما .

ولذلك فإن هذه الصفحات - على قلتها - مفيدة في معرفة بعض الأماكن العربية القديمة التي عفى عليها الزمن^(٢) .

(١) أحمد أمين - ضحى الإسلام : ٢٦٤/٢ .

(٢) انظر : مقدمة : البلغة في شذرات اللغة - نشر : أوجست هفتر ولويس شيخو - ط ٢ - مط الكاثوليكية - بيروت سنة ١٩١٤ م .

هذا فضلا عن أن قدم هذا الكتاب الصغير ، وشهرة مؤلفه ، تضعه في مكانة مرموقة بالمكتبة اللغوية .

نموذج منه :

قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني^(١) حدثنا
أبو سعيد عبد الملك بن قريب (الأصمعي) قال^(٢) :

دارت العرب المعروفة في بلدانهم وأشعارهم ست عشرة
دائرة^(٣) .

والدائرة : ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال ،
يقال : دار ، ودائرة ، وأدَّور ودارات

فمن ذلك : دائرة وَشَجَى ، وأنشد :
ولست بناسٍ موقفاً إن وقفته بدارة وَشَجَى ما عَمِرَتْ سليما
ودائرة : جُلْجُل ، قال عمرو القيس :
ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جُلْجُل
ودائرة : رَفْرَف ، وأنشد :
فقلت عدي ، قالت : إذا الليل جَا فموعدنا أقواز دائرة رَفْرَف^(٤)

وتلاحظ معي أن كتاب الأصمعي هذا : احتوى على ست عشرة دائرة ، وقد
بدأه بتعريف الدائرة ، ثم ذكر جمعها ، ثم عرض لنا الدارات التي وردت في
أشعار العرب ، دون أن يرتبها أي ترتيب كان .

(١) هو : راوى كتاب نوادر أبي زيد أيضا ..

(٢) من كتاب : البلغة في شذرات اللغة .

(٣) هذا طبعا غير ما ذكره أصحاب معاجم البلدان كياقوت والبكري وغيرهما .

(٤) أقواز جمع قوز وهو : المستدير من الوطن والكنيب المشرف - القاموس المحيط : قوز .

وكان في حديثه عن هذه الدارات - كما وضع فيما سقته - يذكر الدارة ثم يثنى بالبيت الشعري الذي ذكرت فيه ، مع نسب هذا البيت لقائله في بعض الأحيان ، وإغفال هذا النسب في أحيان أخرى .

كما أنه لم يكلف نفسه مشقة تحديد موقع الدارة^(١) .

وعلى هذه الطريقة من الجمع والاستقصاء سارت الرسائل ذات الموضوع الواحد ، فقد جمع أبو زيد الأنصاري مثلاً : في (كتاب المطر) « كل ما ورد في كتب اللغة عن المطر وما يلحق به من الأنواء والغيوم وما شاكلها والرعد والبرق »^(٢) .

وإليك نموذجاً من هذا الكتاب :

قال أبو زيد الأنصاري^(٣) :

أول أسماء المطر : القِطْقِط ، وهو أصغر المطر .

والرَّذاذ : فوق القِطْقِط ، يقال : قَطَقَت السماء فهي مقطّقة ، وأرذّت فهي مُرْدَّةٌ إِزْدَادًا .

ومنه : الطَّشُّ : فوق القِطْقِط والرذاذ ، يقال : طَشَّت السماء تطش طشا .

ومنه البَغْشُ : وهو فوق الطَّش ، يقال : بَغَشَت تَبْغَش .

والغَيْيَةُ فوق البَغْشَةِ وكذلك الحَلْبَةُ والشجدة إلخ . . .

وعلى هذا المنهج سار أبو غييد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) في كتابه : الرَّحْلُ والمنزل :

(١) تكفل بهذا التحديد ناشراً كتاب البلغة في شذرات اللغة - انظر الكتاب .

(٢) لويس شيخو - البلغة في شذور اللغة : ص ٩٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٠١ ، ١٠٢ .

فقد جمع فيه معظم المفردات التي يستعملها العرب في أسفارهم ومنازلهم
وبذلك وضّح لنا كثير من عاداتهم وأموهم المنزلية .

وإليك نموذجاً منه :

باب الرحل وآلاته والأواني في السفر والحضر والدور
والبيوت والأحذية والأبنية^(١) :

أما حاجات السفر : فإذا كان في رَحْل الإنسان مُحَلَّات
نزل حيث شاء منفرداً عن الناس ، وهي : القِرْبَة ، والفأس ،
والقِدَّاحَة ، والدَّلْو ، والشُّفْرَة والقِدْر ، تُحَلَّه حيث شاء ،
وإلا فلا بُدُّه من الناس .

ولكل واحدة من هذه نعوت وأسماء . . . إلخ .

ثم عرفنا بالأبنية فقال^(٢) :

من الأبنية : الخِباء ، وهو من وَبَرٍ أو صوف ، ولا يكون
من شَعَرٍ^(٣) .

والْبُرْجُد : كِسَاء ضخم فيه خطوط يصلح للخباء
وغيره .

والسبيج : مِسْحٌ مخطط يكون في البيت يُسْتَر به
ويُفْتَرش .

والإِراض : بِسَاطٌ ضخم من وبر أو صوف . . . إلخ

(١) البلغة في شذور اللغة : ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق - ص ١٢٥ .

(٣) في المعجم الوسيط (خبأ) : الخباء : بيت من وبر أو شعر أو صوف ، يكون على عمودين
أو ثلاثة .

المرحلة الثالثة من مراحل معاجم الموضوعات الكتب ذات الموضوعات المتعددة

وذلك لأنها جمعت الموضوعات السابقة الذكر وغيرها تحت أجنحتها .

وقد سُميت هذه الكتب - أيضا - كُتب الصِّفَات ، لأنها تجمع الصفات المتفرقة مثل : صفة الخيل وصفة الإبل وصفة المطر وغيرها في كتاب واحد .

كما سُميت أيضا : كتب الغريب المصنّف لأنها جعلت الغريب أصنافا كل صنف يُعنى بموضوع واحد ، ثم جمعت هذه الأصناف كلها في كتاب واحد .

وغنى عن الذكر : أن هذه الكتب سُبقت بكتب المرحلة الثانية وهي الرسائل الصغيرة التي أفرد كل منها لموضوع واحد .

ومن أوائل من ألفوا في هذا المجال :

١ - أبو عمرو الشيباني (إسحق بن مرار - ت ٢٠٦هـ) فقد كان له كتاب : (غريب المصنف) الذي رواه عنه ولده : عمرو بن أبي عمرو ، ولذلك نسب إليه^(١) .

٢ - أبو عبيد القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد (توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ) ، الذي ألف كتابه : (الغريب المصنف) مشتملا على ألف باب ، تحتوي على مائة ألف حرف [كلمة] ، وبه من شواهد الشعر : ألف ومائتا بيت . وكان أبو عبيد يحب كتابه هذا بل ويفضله على عشرة آلاف دينار ، على الرغم من أنه كان رقيق الحال .



(١) انظر : الفهرست للنديم : ص ٧٤ ، ٧٥ .

نقد الكتاب :

ولقد قيل له : يقال إنك أخطأت في مائتي حرف من المصنف فرد - في حلم - قائلا : « في المصنف مائة ألف حرف ، فان أخطيء في كل ألف حرفين فما هذا بكثير مما أدرك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هذه المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجا »^(١) .

مكانته واهتمام العلماء به :

وقد روى الأزهرى في تهذيب اللغة ما سمعه عن كتاب (الغريب المصنف) لأبى عبيد حيث قال^(٢) :

أخبرنى المنذرى عن الحسن المؤدب ، أن المسعرى أخبره أنه سمع أبا عبيد يقول : مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة أتلقف ما فيه من أفواه الرجال ، فإذا سمعت حرفا - عرفت له موقعا في الكتاب - : بث تلك الليلة فرحا .

قال (أبى المسعرى) ثم أقبل علينا (أبو عبيد) فقال : أحدكم يستكثر أن يسمعه منى في سبعة أشهر .

وأخبرنى أبو بكر الإيادى عن شمر أنه قال : ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبى عبيد ، واختلفت أنا إلى الإيادى في سماعه ستين وزيادة ، وكان سمع نسخه من شمر بن حمدويه وضبطه ضبطا حسنا وكتب عن شمر فيه زيادات كثيرة في حواشى نسخه .

(١) طبقات النحويين واللغويين - ص ٢٠١ ، وانظر الفهرست ص ٧٨ .

(٢) تهذيب اللغة : ١ / ٢٠ ، هذا وقد سماه الأزهرى : الغريب المؤلف .

وهذا كله يرينا مكانة هذا الكتاب (الغريب المصنف) ومدى اهتمام اللغويين به ، ومقدار تربيته .

وهو يعد أقدم ما وصل إلينا من الكتب ذات الموضوعات المتعددة ، وتوجد نسخة منه بمخطوطات دار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٢١ لغة ، وهى مصورة عن النسخة الأصلية الموجودة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، كما توجد نسخة أخرى بمكتبة الأسكوريال ، بأسبانيا ، ونسخة ثالثة بمكتبة مدرسة محمودية بالمدينة المنورة .

وهذه النسخ الثلاث توجد لها مصورات بمكتبة الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وقد نغى إلى علمى أن الدكتور رمضان عبد التواب قد أقدم على تحقيق هذا الكتاب الضخم ، فأرجو له التوفيق والسداد .

أبواب الغريب المصنف :

يبدأ الكتاب بباب : تسمية خلق الإنسان ونعوته .

وقد قال أبو عبيد فى مفتتح هذا الباب^(١) :

قال أبو عبيد : سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول : الأنوف يقال لها : المخاطم ، واحدها مخطم . قال : والبواذر من الإنسان وغيره : اللحمه التى بين المنكب والعنق ، وأنشدنا لخراشة بن عمرو :

* وجاءت الخيل مُحمَّراً بواذرها *

والمَراوغ : ما بين العنق إلى الترقوة ، واحدها مروغة .

ثم اتبع هذا : بباب نعوت دمع العين ، وغثورها وضعفها وغير ذلك^(٢) :

(١) المخطوطة السابقة الذكر (نسخة دار الكتب المصرية) : ص ٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥ .

الأصمعي : انهجمت عينه : دمعت .

والكسائي وأبو زيد : دمعت عينه - بالفتح - لا غير .

وقالا : همت عينه تهيج هَميًا : مثله ، وَغَسَقَتْ تَغْسِقُ غَسَقًا مثله .

أبو عمرو : ترقرت : مثله .

الأصمعي : الهرع : الجارى ، وأبو عمرو مثله قال : وكذلك الهموع بفتح

الهاء .

ثم ثنى يباب القصار من الناس ، وباب أصوات كلام الناس وحركتهم ، وظل
هكذا يذكر الأبواب التي تتصل بخلق الإنسان ونعوته حتى انتهى عند باب :
الداهي من الرجال .

وأعقب ذلك يباب اللبن^(١) وأبواب أخرى كثيرة في موضوعات مختلفة ،
ومنها باب الإبل^(٢) .

وآخر باب في كتابه هو باب : الحفيف ، الذي قال فيه^(٣) :

قال الفراء : حف الطائر يحِفُّ حفيفا في صوت طيرانه ، وحف رأس الانسان
وغيره يحف حُفُفا : إذا شعث^(٤) ، وحفت المرأة وجهها تحفه حفا وحفافا^(٥) .

ونلاحظ على هذا الكتاب :

- ١ - أنه جمع أشناتا من الأبواب والموضوعات المختلفة .
- ٢ - أن صاحبه نسب ما جمعه إلى أصحابه من اللغويين الأوائل ، وجماع اللغة ،

(١) نسخة دار الكتب المصرية : ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٢١ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥٠٩ .

(٤) في القاموس المحيط : حف رأسه يحف حُفُفا : بعد عهده بالدهن (حف) .

(٥) أى : قشرته - انظر : المرجع السابق .

من أمثال : الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ) . وأبي
زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) والفراء
(ت ٢٠٧ هـ) وبذلك أصبح كتابه مؤثفاً وغاصا بأسماء رواد جمع اللغة
الأوائل

- ٣ - أن صاحبه استشهد بما تيسر له الاستشهاد به .
 - ٤ - واهتم بإيراد الغريب من الألفاظ العربية ، مع عنايته بتوضيحها ، والتعريف
بها .
 - ٥ - وحرص على ضبط ما يلتبس ضبطه ، مثل قوله في (الهموع) : بفتح الهاء .
 - ٦ - أن صاحبه لم يرتب أبوابه أو ألفاظه أى ترتيب معجمي ، يسهل للقارئ
الوصول إلى مبتغاه منه ، مما جعل الاستفادة منه عسيرة .
- ولكن يكفى هذا الكتاب شرفا وفخرا : أنه نقل إلينا صورة دقيقة وأمينه
للألفاظ والمعاني العربية القديمة ، تلك التي كان يمكن أن تضيع في رحلة الزمان ؛
لولا حفظها في هذا الكتاب الذي حوى في باطنه كثيرا من الكتب .

ختم كتب الموضوعات

(المخصص لابن سيده - ت ٤٥٨ هـ)

وكان خاتمة المطاف في تأليف هذا النوع من الكتب ذات الموضوعات المتعددة
هو كتاب : (المخصص) لابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي ،
اللفوي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) ، إذ أن هذا الكتاب : « توج هذا النوع من الكتب
وسما به إلى القمة »^(١) .

ابن سيده وأبو عبيد :

وقد سار ابن سيده في كتابه (المخصص) على نهج كتاب (الغريب المصنف

(١) د . حسين نصار - المعجم العربي : ١ / ٢١١ .

لأبي عبيد) - في كثير من الأحيان - وذلك في تقسيم الكتب والأبواب والفصول ، ثم أدخل بعض الأبواب التي لم يتعرض لها سابقة ، وحشا الأبواب المشتركة بينهما بما أغفله أبو عبيد ، وأخذ هذه المواد - الزائدة - من الكتب التي ألقت بعد أبي عبيد أو التي لم يطلع عليها^(١) .

وإن كانت بينهما نقاط خلاف جوهرية ، أهمها : أن ابن سيده اختلف مع أبي عبيد في صنف العلماء الذين رجع إليهم كل منهما .

فقد قصر أبو عبيد مراجعه على اللغويين ، أما ابن سيده : فأشرك معهم النحويين والصرفيين ولا سيما : سيويه وأبا علي الفارسي والسيراfi وابن جنى ، فوجدت عنده أبواب نحوية صرفية خالصة لا نجد لها في كتب غيره ، وأبواب يغلب عليها التعليقات النحوية والصرفية^(٢) .

مكانة التخصيص بين معاجم الموضوعات :

وقد كان ابن سيده ينقب في كل موضوع من موضوعاته عن أحسن كتاب أو كتب ألقت في هذا الموضوع ، وأغزرها مادة ، ثم يجعلها عماده ويكملها بما يعثر عليه في الكتب الأخرى .

ولذلك يعد كتابه (التخصيص) أغزر هذا اللون من المعاجم مادة ، وأغناها بالمفردات اللغوية ، بالإضافة إلى ما تثر فيه من المعارف النحوية والصرفية .

منهجه :

ظهر تأثر ابن سيده بالمنطق في الأبواب التي أدخلها في التخصيص ، وفي علاجه لمواده ، ففطر إلى كل كتاب منها نظره إلى الكتاب الكامل المستقل ، فصدره بتعريف الألفاظ العامة الشاملة ، ثم بدأ بالموضوعات العامة فالخاصة .

(١) انظر مراجعه كاملة ومفصلة في : التخصيص ١ / ١٢ ، ١٣ .

(٢) د . حسين نصار - المعجم العربي : ١ / ٢١٢ .

وكل هذا يجعل من اخصص أهم كتاب في المعاجم الموضوعية^(١) .

وإن شئت فانظر (كتاب خلق الإنسان) في اخصص^(٢) فقد قال ابن سيده : « الإنسان : لفظ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بصيغة واحدة » ثم يذكر من الأمثلة والشواهد القرآنية وغيرها ما يدل على صدق ما ذهب اليه .

ثم قسم (كتاب خلق الإنسان) إلى أبواب موضوعية منطقية ، هي :

- باب الحمل والولادة^(٣) .
- أسماء ما يخرج مع الولد^(٤) .
- الرضاع ، والفظام ، والغذاء ، وسائر ضروب التربية^(٥) .
- الغذاء السيء للولد^(٦) .
- أسماء أول ولد الرجل وآخرهم^(٧) .
- أسماء ولد الرجل في الشباب والكبر^(٨) .
- أسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر^(٩) .

وهكذا يظل ابن سيده مع الإنسان وصفاته وكل ما يتصل به متدرجا به من الأعم إلى العام إلى الخاص إلى الأخص حتى يصل إلى (باب السكوت)^(١٠) ،

(١) انظر : مقدمة محققى : المحكم لابن سيده (مصطفى السقا ود . حسين نصار) ص ١٣ ،

١٤ ط الحلى ١٩٥٨ ، المعجم العربى - د . نصار : ١ / ١١٢ .

(٢) ج ١ ص ١٥ نشر المكتب التجارى للطباعة ببيروت .

(٣) ج ١ ص ١٥ .

(٤) ج ١ ص ٢٣ .

(٥) ج ١ ص ٢٥ .

(٦) ج ١ ص ٢٩ .

(٧) ج ١ ص ٣٠ .

(٨) ج ٢ ص ١٤٦ .

(٩) ج ٢ ص ١٤٨ .

ثم يبدأ في كتاب جديد هو : (كتاب الغرائز)^(١) بتفصيلاته وأبوابه .

اهتمام ابن سيده بقضايا لغوية كثيرة :

وقد اهتم ابن سيده في كتابه (المختص) بكثير من قضايا اللغة مثل :

١ - التضاد :

ولذلك قال في مقدمته^(٢) :

فأما اللفظة التي تدل على كميتين مختلفتين منفصلتين أو متصلتين ، كالشعر
الذي يقع على العدد القليل والكثير .

والجلل : الذي يقع على العظيم والصغير .

واللفظة التي تدل على كيفيتين متضادتين : كالتَّهَلُّ الواقع على العطش والرى .

واللفظة الدالة على كيفيات مختلفة ، كالجَوْنُ : الواقع على السواد والبياض
والحمرة .

وكالسُدْفَةُ : المقولة على الظلمة والنور وما بينهما من الاختلاط :

فسأتى على جميعها مستقصى في فصل الأضداد من هذا الكتاب ، مثبثا له
غير جاحد ، ومضطرا إلى الإقرار به على كل ناف معاند ، ومبرثا للحكماء
المتواطئين على اللغة ، أو الملهمين إليها من التفريط ، ومنزها لهم عن وسيمهم في
ذلك بالذهاب إلى الإلباس والتخليط .

٢ - الترادف :

وكذلك أقول على الأسماء المترادفة التي لا يتكرر بها نوع ، ولا يحدث عن
كثرتها طبع ، كقولنا :

(١) ج ٢ ص ١٤٨ .

(٢) المختص : ٣ / ١ .

في الحجارة : حَجَر وصفة ونقله .

وفي الطويل : طويل وسَلَبَ وشرَحَبَ .

٣ - المشترك :

وعلى الأسماء المشتركة التي تقع على عدة أنواع : كالعين المقولة على : حاسة البصر ، وعلى نفس الشيء ، وعلى الربيعة^(١) ، وعلى جوهر الذهب ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر الدائم ، وعلى حُرّ المتاع ، وعلى حقيقة القبلة .

وغير ذلك من الأنواع المقولة عليها هذه اللفظة .

ومثل هذا الاسم مشترك كثير ، وكل ذلك ستراه واضحا أمره مُبَيَّنًا عذره في موضعه إنشاء الله .

٤ - أصل اللغة :

ثم بدا ابن سيّاه يتحدث عن أصل اللغة ، وهل هي تواضع واصطلاح أم وَخْي ، و توقيف^(٢) ؟

ثم تكلم عن حد اللغة فقال : « هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » . وهي عنده على وزن فُعْلَةٌ لأن أصلها : لُ غَ وَ هُ^(٣) .

سبب تأليفه لهذا الكتاب :

قال : « فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عما نتصوره ، وتشتمل عليه أنفسنا : أحببت أن أجرد فيها كتابا يجمع ما تنشر من أجزائها شعاعا ، وتنثر من أشلائها ، حتى قارب العدم ضياعا ، ولا سيما هذه اللغة المكرمة ، الرفيعة .

(١) أى : الطليعة .

(٢) المخصص : ١ / ٣ .

(٣) السابق : ص ٦ .

مآخذه على القدامى الذين ألفوا في اللغة قبله :

- ١ - ثم إنى لم أر لهم فيها كتابا مشتملا على جُلِّها فضلا عن كلها .
- ٢ - مع أنى رأيت جميع من مد إلى تأليفها يدا ، وأعمل في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وخلدا : قد حرموا الارتياض بصناعة الإعراب فإننا نَجدهم :

أ - لا يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء .

ب - ولا يحدون الموضع الذى انقلب الألف فيه عن الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك .

ج - ولا يميزون مما يخرج على هيئة المقلوب : ما هو منه مقلوب وما هو من ذلك لغتان .

وذلك : كجذب وجذب ويشس وأيس ورأى وراء .

د - وكذلك لا ينبهون على ما يسمعون غير مهموز مما أصله الهمز

هـ - ولا يفرقون بين القلب والإبدال .

و - ولا يبين ما هو جمع يكسر عليه الواحد ويين ما هو اسم للجمع^(١) .

تشوقه إلى تأليف كتاب شامل للغة :

فاشرأبت نفسى . . . إلى أن أجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط إلى من اللغة إلا مالا بال به .

وأن اضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها ، وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها ، وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه

(١) المخصص : ٧ / ١ .

وعن سبب اختياره نظام التبويب أو الموضوعات ، قال :

« لما وضعت كتابى الموسوم بالمحكم مجنسا^(١) لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة :

أردت أن أعدل به كتابا أضغه ميوها حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المِدرَه^(٢) ، والبليغ المفوه ، والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع ، فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة : تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاء ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية^(٣) .

وكأنه يعتذر بهذا العذر ، عن الصعوبة التى يلقاها الباحث فى مثل هذه الكتب ذات الموضوعات ، حين يريد الوصول إلى معنى كلمة من الكلمات ، لأن أمثال هذه الكتب لم تُنشأ لهذا الغرض وإنما ألفت بهدف تجميع الكلمات التى تخص موضوعا معينا فى مكان واحد .

التأليف فى معاجم الموضوعات بعد ابن سيده :

كل ما ألف بعد المخصص لا يكاد يعتد به فى هذا المجال ؛ لأنه عبارة عن اختصارات لهذا الكتاب العملاق الذى جمع شتات اللغة واهتم بكثير من قضاياها فى أبواب وموضوعات^(٤) .



(١) المعجم المجنس : هو الذى يقوم بضبط الألفاظ ، وبيان أصلها وشرح مدلولها ، مع ترتيبها ترتيبا يسهل الكشف عنها .

(٢) أى : زعيم القوم .

(٣) المخصص : ١ / ١٠ .

(٤) انظر : المعجم العربى - د . حسين نصار : ص ٢٠٩ .

نموذج من كتاب المخصص لابن سيده
من كتاب الطعام
أسماء ما يؤكل عليه^(١)

صاحب العين^(٢) : المائدة : التى يؤكل عليها .
أبو حاتم^(٣) : المائدة : الطعام ، وإن لم يكن هناك خِوان .
قال أبو علي^(٤) : لا تسمى المائدة مائدة حتى يكون عليها
طعام ، وإلا فهي خِوان .
ابن السكيت : خِوان وخِوان .

قال سيويه : وجمعهما : أخونة ، أتوا ليفرقوا بينه وبين
أفعل كائيع ونحوها ، وفي الكثير خُون ، أصله : خُونٌ إلا
أنهم لم يحركوا الواو كراهة الضمة فيها والضممة قبلها ،
ورجعوا فيها إلى اللغة التميمية ، ووافق الذين يقولون فُعال
الذين يقولون فِعال ، لاتفاقهما في العِدَّة وحرف اللين .
أبو حاتم : المائدة : الطعام نفسه ، والعوامُ يظنونهُ
الأخونة .

ابن دريد : الدَّيْسَقُ والفاتور والقُدْمور ، كُلُّهُ : الخِوان
من الفضة .

قُطْرِب : الرِّبْعَةُ -- ما بين قوائم الخِوان ، وقد تقدم أنها ما

(١) المخصص : ١١ / ٥ .

(٢) أى : الخليل بن أحمد الفراهيدى .

(٣) أى : السجستانى .

(٤) الفارسى أستاذ ابن جنى .

بين الأثافي^(١) .

صاحب العين : العقر : ما بين قوائم المائدة وقيل :
العقر : فَرْج ما بين كل شيئين ، وقال : دَسِيعَةُ الرجل :
مائدته إذا كانت كريمة . . . وقيل : الدسِيعَة : الجَفَنَة
وسياتي ذكرها ، والطبق : الذى يؤكل عليه والجمع أطباق .

ابن السكيت : الطَّرِيَّان : الذى يؤكل عليه .

ابن جنى : وهو الطريان ، وأنشد :
فلا خبز ولا سمك طرئى يعرض فوق ظهر الطَّرِيَّان

أبو على : المِهْدَى : الطباق الذى يهدى فيه .

صاحب العين : صبر الخوان : رُقَاقَةٌ عريضة تبسط تحت
ما يؤكل من الطعام .

أبو عبيد : القنع والقناع : الطباق الذى يؤكل عليه .

الشياني^(٢) : وهو الكرامة .

أبو حنيفة^(٣) : الوضم : ما وضع عليه الطعام ليؤكل .

وقد تقدم أنه : ما يوضع عليه اللحم وأنشد :

* دَقَّا كَدَقَ الوَضْمَ المرقوش *

الرقش : الأكل الشديد .

(١) قوائم الكانون .

(٢) هو : أبو عمرو الشياني . ت ٢٠٦ هـ

(٣) هو أبو حنيفة الدينورى (أحمد بن داود) جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب - ت

٢٨٢ هـ .

ونلاحظ مما سبق :

١ - أن ابن سيده جمع كل ما وقعت عينه عليه ، حول موضوع أسماء ما يؤكل عليه .

٢ - وأنه ذكر أسماء اللغويين والنحاة الذين أخذ عنهم ، بخلاف ما يقوله بعض الباحثين من أنه : « حذف مما نقله أسماء اللغويين الواردة فيه ، فقلت الأسماء عنده تماما »^(١) .

٣ - وساق بعض الشواهد الشعرية على ما قاله ، وإن كان لم يذكر أسماء الشعراء ، بل أكتفى بقوله : (وأنشد) .

٤ - أن طريقته في جمع الأسماء الكثيرة للمسمى الواحد ، تفيد الشاعر والناثر فيما يكتبان لأنه - كما قال ابن سيده في مقدمة كتابه^(٢) - : « إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة : تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاء ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية » .

٥ - وأن تلك الطريقة : حفظت كثيرا من مفردات اللغة من الضياع ، حيث لا يستعمل منها إلا أقل القليل ، فلو لم يكن هناك وعاء - كالتخصص الذي ضم بين جنباته فرائد اللغة ونوادرها - لضاعت وما بقي منها إلا ما يستعمل فقط .

٦ - أما ما يمكن أن يقال عنه : من أن البحث فيه عن كلمة صعب : فليس له محل ، وما ذلك إلا لأن الغرض من التخصص أن لا يكون معجما لفظيا ، وإنما كان الغرض منه كما قال ابن سيده^(٣) : « لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنسا لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة : أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبوبا وذلك أجدى على الفصيح المدره والبلغ المفوه والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع » .

(١) د . حسين نصار : المعجم العربي : ١ / ٢١٢ .

(٢) التخصص : ١ / ١٠ .

وبعد : فقد أدت معاجم الموضوعات العربية القديمة دورا كبيرا في حفظ اللغة ورصد كلماتها ، وجمع متفرقاتها ، ولكنها لم تغن « عن لون آخر » يشرح اللفظة ، ويجلو غامضها ، ويعالج مشتقاتها ، حين ترد في نص أدبي يتوقف فهمه على فهم مدلولها ، ولا تستطيع الكتب المشار إليها قبل : الإرشاد إليه ، إذ أنها تسير في طريق مقابل ، تفترض معرفة الموضوع والمعنى ثم ترشد إلى اللفظ ^(١) .

ولذلك - فسوف أتحدث فيما يلي ؛ عن المعاجم التي عنت بالألفاظ ، واهتمت بها على النحو السابق الذكر ، مبينا مدارسها ، ومبادئ كل مدرسة منها ، وأهم تلاميذ تلك المدرسة .



(١) د . عبد السميع محمد أحمد - المعاجم العربية - الكتاب الأول : ص ١٤ .

الباب الثالث

معاجم الألفاظ

تمهيد :

رأينا معاجم الموضوعات أو المعاني ؛ وقد تدرجت في ظهورها حتى وصلت إلى ذروتها في كتاب الخصاص لابن سيده .

ولكن معاجم الألفاظ ظهرت طفرة واحدة على يد الخليل بن أحمد (ت ١٧٥) ، صاحب معجم العين .

ثم تفنن مؤلفوها في طريقة ترتيب ألفاظها - خدمة للقارئ وطلباً للسهولة - مما جعلها تتميز فيما بينها وبين بعضها ، وتظهر بينها فروق جعلتها تتفرق إلى ثلاث فرق أو مدارس معجمية .

المدرسة الأولى : مدرسة التقليلات الصوتية :

قائدها الخليل بن أحمد ، في معجمه العين .

وتقوم هذه المدرسة على أساس ترتيب المواد اللغوية حسب مخارج الحروف ، مع جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة ؛ في موضع واحد ، ووضعها تحت أبعد حروفها مخرجاً .

وقد تفرع عن هذه المدرسة فرع آخر هو : التقليلات الهجائية ، وقائده : ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في كتابه : جمهرة اللغة . فقد رأى صعوبة الترتيب الصوتي ، ومن ثم رتب مواد كتابه حسب أسبق حروف المادة ترتيباً في الألفبائية العادية ، مع جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في موضع واحد .



المدرسة الثانية : مدرسة القافية :

وقائدها : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت نحو : ٤٠٠ هـ) ، في معجمه : تاج اللغة وصحاح العربية وقد قسم هذا المعجم إلى أبواب ، والأبواب إلى فصول ، وعد الحرف الأخير من الكلمة بابا والحرف الأول منها فصلا .

المدرسة الثالثة : مدرسة الألفبائية العادية :

ورائدها : ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في معجمه : مجمل اللغة ، الذى قسمه إلى أبواب تبلغ ثمانية وعشرين بابا ، بعدد حروف الهجاء ، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهى بكتاب الياء .

ثم حشا هذه الكتب بالمواد التى أولها الحرف عنوان الكتاب .



الفصل الأول

مدرسة التقلبات الصوتية وأشهر معاجمها

سبب وجودها :

عرفنا أن هذه المدرسة هي أول مدرسة معجمية عربية وأنها كانت سببا في ظهور فن معاجم الألفاظ ظفرة واحدة ، دون أن يسبق بإرهاصات ، وذلك لأن مبتكرها (الخليل بن أحمد) لم يجد فيما بين يديه - من رسائل لغوية صغيرة - منهجا يبلغه غرضه الذى يرمى إليه ، وهو : ضبط اللغة ، وحصرها ، وشرح معاني ألفاظها ، ولذلك فكر فى منهج جديد يحقق غرضه ، وكان هذا سببا فى تأليفه لكتابه : العين ، الذى سارت على نهجه كتب أخرى .

كتاب العين

للخليل بن أحمد الفراهيدى

التعريف بمؤلفه :^(٥)

هو : أبو عبد الرحمن : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ويقال الفرهودى .
والفراهيدى : نسبة إلى فراهيد ، وهى بطن من الأزد ، والفرهودى مفرد
(فراهيد) .

(٥) انظر فى ذلك : معجم الأدباء لياقوت الحموى ١١ / ٧٢ - ٧٧ نشر دار المأمون بمصر ، وقفات الأعيان لابن خلكان بتحقيق : محمد محيى الدين : ٢ / ١٥ - ١٩ - مكتبة النهضة بمصر ، بُغية الرواة ، فى طبقات اللغويين والنحاة - للسيوطى - بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ١ / ٥٥٧ - ٥٦٠ ط عيسى الحلبي بمصر ، والعين : بتحقيق د . عبد الله درويش : ص ٤ وما بعدها - مطبعة العناني - ببغداد .

ولد سنة ١٠٠ هـ - على أرجح الروايات - فيما يعرف الآن باسم عُمان على شاطئ الخليج العربى ، ثم انتقل إلى البصرة غلاما ، فشب بها وتلقى العلم ودرس ، ولذلك يشتهر بلقب : البصرى .

وكان الخليل من اللغويين القلائل ، الذين انحدروا من أصل عربى صيرف ، فلم يكن من الموالى كما كان غيره من أمثال سيويه (تلميذه) (ت ١٨٠ هـ) وأبى عمرو بن العلاء (أستاذه) (ت ١٥٤ هـ) .

وكان الخليل يعيش فى شظف من العيش ! ومع ذلك كان راضيا قانعا ، لأنه كان زاهدا فى متاع الدنيا ، كما كان يحج عاما ويغزو عاما فى سبيل الله .

عبقريته العلمية :

كان الخليل إماما فى النحو والصرف والعروض ، والعلوم الإنسانية بصفة عامة .

وقد تخرج فى مدرسته كثير من النوابع ، أشهرهم : سيويه صاحب (الكتاب) فى النحو ، والذى نقل فيه كثيرا عن الخليل ، واعتمد عليه اعتمادا كبيرا ، حتى إنه لم تكن تخلو صفحة من صفحات هذا الكتاب دون أن يشير إلى رأى من آراء الخليل .

ولم تقتصر براعته على علوم اللغة ، ولكن تعدتها إلى علم الموسيقى والنغم ، الذى ألهمه علم العروض وأفيا كاملا على غير مثال سابق .
هذا بالإضافة إلى براعته فى علم الحساب وسبقه به زمانه .

آثاره العلمية :

- ١ - كتاب العين - الذى نحن بصددده .
- ٢ - كتاب النقط والشكل .
- ٣ - كتاب النغم .

٤ - كتاب العروض .

٥ - كتاب الشواهد .

٦ - كتاب الإيقاع .

٧ - كتاب الجمل .

نسبة كتاب العين إلى الخليل :

اختلفت الآراء حول نسبة كتاب العين إلى الخليل اختلافا كبيرا ، ويتلخص هذا الخلاف في وجهات النظر التي ذهبت إلى ما يأتي :^(١) .

أولا : الخليل لم يؤلف كتاب العين ولا صلة له به .

ثانيا : الخليل لم يضع نص كتاب العين ، ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه .

ثالثا : الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين ، ولكن قد اشترك معه غيره في ذلك .

رابعا : الخليل عمل من كتاب العين أصوله ، ورتب أبوابه ، وصنف مواده ، ولكن غيره حشا المفردات .

خامسا : الخليل عمل كتاب العين ، بمعنى أنه ألفه ، ثم روى عنه .

ولا مجال الآن لتفصيل هذه الآراء وتفنيدها ، خاصة وأنها قد بُحِثَتْ ومُحِصَتْ وفُتِدَتْ من كثيرين^(٢) ، ولكن ما تظمن إليه النفس هو : أن الخليل بن أحمد هو مؤلف كتاب العين من أوله إلى آخره ، وأن تلميذه الليث بن المظفر بن نصر كان راويته في ذلك^(٣) .

ومن أكبر الأدلة على هذا : بداية الكتاب التي بدأت بالإسناد - شأن الكتب

(١) د . عبد الله درويش - كتاب العين : ص ٧ .

(٢) انظر : مقدمة العين للدكتور عبد الله درويش : ص ٨ - ٢٧ ، وانظر : المعجم العربي - د . نصار - ٢٧٩/ ١ وما بعدها ، البحث اللغوي عند العرب : د . أحمد مختار عمر ص ١٦٤ وما بعدها .

(٣) مقدمة العين د . درويش : ص ٢٧ .

اللغوية الأولى - والتي قيل فيها : (١) « قال أبو معاذ ، عبد الله بن عائذ : حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما فى هذا الكتاب .

قال الليث : قال الخليل :

كلام العرب مبنى على أربعة أصناف : على الثنائى والثلاثى والرابعى والخماسى « . . . إلخ .

فكلمة « بجميع ما فى هذا الكتاب » : تدل دلالة قاطعة على أن الخليل ألف الكتاب كله وليس جزءا منه .

كما أن هذا الكتاب روى بطرق مختلفة عن الليث عن الخليل ، فقد ذكر ابن فارس فى معجمه (مقاييس اللغة) ما نصه : (٢)

كتاب العين (للخليل بن أحمد) : أخبرنا به على بن إبراهيم القطان فيما قرأت عليه ، قال :

أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعدانى ، عن أبيه إبراهيم بن إسحق ، عن بُندار بن لُزّة الأصفهاني ، ومعروف بن حسان ، عن الليث عن الخليل . كما ذكر السيوطى طريقة أخرى من طرق رواية الكتاب ، حيث قال : (٣)

روى أبو على الفسائى كتاب العين عن الحافظ أبى عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضى : منذر بن سعيد ، عن أبى العباس أحمد بن محمد بن ولّاد النحوى ، عن أبيه ، عن أبى الحسن على بن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، عن الخليل .

وكل هذا يقطع بصحة نسبة هذا الكتاب الى الخليل بن أحمد ويجعلنا نطمئن إلى صحة هذه النسبة .

(١) العين - بتحقيق : د . درويش ص ٥٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة - بتحقيق : هارون : ١ / ٣ ، ٤ .

(٣) المزهر : ١ / ٩١ ، ٩٢ .

طبع معجم العين :

وقد طبع الجزء الأول من كتاب العين بتحقيق الدكتور عبد الله درويش عن ثلاث نسخ مخطوطة ، ولكنه لم يكمل تحقيقه ، فقام بهذه المهمة الدكتوران : إبراهيم السامرائي ومهدى الخزومي - من العراق - ونشرا الجزء الأول سنة ١٩٨٠ م ، ثم توالى بقية الأجزاء ، حتى خرج الجزء الثامن والأخير في عام ١٩٨٥ م .

غرض الخليل من تأليف العين :

كانت مفردات اللغة تجمع في عصر الخليل وقبله - كما بينا في معاجم الموضوعات - حفاظا عليها من الضياع ، وتوسلا بها إلى معرفة ما يخفى على الناس من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ولكن طريقة الجمع لم تكن تسير على خطة معينة ، توصل في النهاية إلى حصر اللغة حصرا شاملا ، بل كانت في أول أمرها تجمع ألفاظا لا يربطها رابط ثم أضحت تجمع ألفاظا تتصل بموضوع معين : كالريح ، أو المطر ، أو الخيل ، أو غير ذلك ^(١) .

ولكن الخليل وجد أن هذا : لا يحقق جمع اللغة جمعا كاملا حاصرا غير مكرر من ناحية ، ولا يسهل للناس طريق الوصول إلى معاني الألفاظ الغامضة من ناحية أخرى ، ولذلك عزم على تأليف معجم العين ليحقق منه الغرضين السابقين . وقد صرح بذلك في مقدمة معجم العين حيث قال : ^(٢) .

« بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين ^(٣) ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب » .

(١) انظر : ضحى الإسلام - أحمد أمين : ٢ / ٢٧٠ ، الفكر المعجمي عند العرب - د .

عبد المنعم عبد الله وآخر : ص ٣٧ .

(٢) العين - بتحقيق د . عبد الله درويش : ١ / ٦٧ .

(٣) أى بكتاب العين أو باب العين .

منهجه في ترتيب مواد العين :

وضع الخليل نُصِبَ عينيه عدة أسس بنى عليها منهجه ، الذي اتبعه في ترتيب مواد معجم العين .

الأساس الأول :

تجريد الكلمة من زوائدها ، حتى يمكن وضعها في مكانها المناسب لها -
حسب أصولها - بين ثنايا المعجم ، مع ملاحظة أنه إذا كان أحد أحرف
الكلمة محذوفاً: رده إلى مكانه ، وإذا كان مقلوباً : رده إلى أصله الأول .

فالكلمات : استكبر - تقاتل - تمنطق - تخلخل - عثمان :

جردها من زوائدها فأصبحت كما يلي :

كبر - قتل - نطق - خلخل - عثم .

والكلمات : يد ، فم ، أخ ، أب .

تصير بعد رد المحذوف إليها :

يَدَيَّ - فَمَوَّ - أَخَوَّ - أَبَوَّ .

والكلمات : ميقات - إرث - قال - باع ، تصبح - بعد رد كل حرف
إلى أصله - من المواد الآتية :

وَقَت - لأن ميقات أصلها : موقات .

وَوَرِثَ - لأن أصل الهمزة في الإرث : الواو .

وَقَوْل - لأن ألف قال أصلها واو ، وقد عرفنا ذلك بعد ردها إلى المضارع (يقول) .

وَيَبَّع - لأن ألف باع أصلها ياء ، وقد عرفنا ذلك بعد ردها إلى المضارع : (يبيع) .

وقد كان الخليل - في هذا - رائدا لكل من أتى بعده من أصحاب المعاجم العامة .

الأساس الثاني :

تقليب الحروف التي تتكون منها الكلمة على كل وجه ممكن ، ليتمكن من حصر جميع ألفاظ اللغة ، مع التنبيه على المستعمل وشرح معانيه ، وإهمال المهمل ، وخاصة في الرباعي والخماسي .

فإذا كانت أصول الكلمة ثنائية قلبها على وجهين فقط ، مثل ل ن ، و ن ل .

وإذا كانت أصولها ثلاثية قلبها على ست صور مثل :

ب ك ر فإنه يمكن أن يأتى منها أيضا :

ب ر ك ، ك ب ر ، ك ر ب ، ر ب ك ، ر ك ب

وإذا كانت أصولها رباعية - مثل جعفر - قلبها على أربع وعشرين صورة .

وإذا كانت أصولها خماسية - مثل زبرجد - قلبها على مائة وعشرين صورة ، وقد نبه الخليل على ذلك في مقدمة العين ، حيث قال^(١) :

اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو : قد ،

دق ، شد ، دش ، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه

وتسمى مسدوسة وهي نحو ضرب ، ضرب .. الخ ..

(١) العين : بتحقيق د . درويش : ٦٦ / ١ .

والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها ،
وذلك أن حروفها - وهي أربعة أحرف - تضرب في وجوه
الثلاثي الصحيح - وهي ستة - فتصير أربعة وعشرين
وجها ، يكتب مستعملها ، ويلغى مهملها ، وذلك نحو عبقر
يقوم منه :

عقرب ، عبرى ، عقبر ، عبقر ، عرقب ، عريق /
قعر ، قعبر ، قعير ، قبرع ، قرعب ، قربع / رعقب
رعقي ، رقعب ، رقع ، ربقع ، ربقي / بعقر بعرق ، بقعر ،
بقرع ، برقي ، برقع .

والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها ،
وذلك أن حروفها - وهي خمسة - تضرب في وجوه
الرباعي - وهي أربعة وعشرون حرفا - فتصير مائة
وعشرين وجها ، يستعمل أقله ، ويلغى أكثره ، وهي نحو
سفرجل ، سفرج ، سفجرل ، سجرل ، سجرلف ...
وهكذا .

الأساس الثالث :

وضع هذه الأصول - التي قلبها على كل وجوها الممكنة - تحت أبعد
الحروف منها مخرجا .

لأنه اتخذ الترتيب الصوتي أساسا لتنظيم معجمه ، حيث رتب الحروف مبتدئا
بالخلق ومنتها بالشفوتين ، ولذلك جاء ترتيبه للحروف كما يلي :

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ /
ر ل ن / ف ب م / و ا ي همزة^(١) .

(١) العين : بتحقيق د . درويش : ١ / ٥٣ .

وقد نظمها المَعَارِى فى قوله :^(١) .

يا سائل عن حروف العين دَوْنَكْها فى رُتَب ضَمَّها وزُن وإِخْصاء
العين والحاء ثم المء والحاء والغين والقاف ثم الكاف أَكْفَاءُ
والجيم والشين ثم الصاد يتبعها صاد وسين وزاى بعدها طاء
والدال والتاء ثم الظاء متصل بالطاء : ذال وطاء بعدها راء
واللام والنون ثم الفاء والباء والميم والواو والمهموز والياء

وعلى ذلك فكلمة الموقف - مثلا - تجرد أولا من زوائدها فتصبح : وقف ،
فتوضع - هى ومقلوباتها - فى مكان واحد هو حرف : القاف ، لأنها أبعد
الحروف الثلاثة مخرجا .

وكلمة ارتعش : تجرد من زوائدها فتصبح : رعش ثم توضع - هى
ومقلوباتها - فى مكان واحد هو حرف : العين ، لأنها أبعد الحروف الثلاثة
مخرجا . . . وهكذا .

الأساس الرابع :

تقسيم كل حرف من حروفه إلى ستة أبواب^(٢) :

١ - الثنائى ومضاعفه مثل : قَدْ ، قَدَّ ، دَقَّ ، عَفَّ ، فَعَّ ، رَصْرَصَ ، صَرَصَرَ .

٢ - الثلاثى الصحيح وهو ما كانت أحرفه الثلاثة صحيحة مثل :

نجم - قتل - برز - ظهر -

٣ - الثلاثى المعتل بحرف علة واحد وهو ثلاثة أنواع :

أ - المثال : ما اعتلت قلوه مثل : وقف ، وعد

(١) المزهر : ١ / ٨٩ .

(٢) انظر : معجم العين - بتحقيق : د . مهدي الخزومى وآخر - الجزء الأول والأجزاء التالية

له - نشر مؤسسة الأعلمى بيروت - لبنان -

- ب - الأجوف : ما اعتلت عينه مثل : باع ، قال
 ج - الناقص : ما اعتلت لامه مثل : عَمِيَ ، نَمَى
 ٤ - الثلاثي اللفيف : ما اشتمل على حرف صحيح ، وحرفين من حروف العلة ، وهو نوعان :

أ - اللفيف المقرون : ما اجتمع فيه حرفا العلة ، مثل : غوى - نوى .

- ب - اللفيف المفروق : ما تفرق فيه حرفا العلة مثل : وَهَى ، وَقَى .
 ٥ - الرباعي : ما تكون من أربعة أحرف أصلية مثل : جعفر ، دحرج .
 ٦ - الخماسي : ما تكون من خمسة أحرف أصلية مثل : خَزَعْبَل ، زبرجد .
 وقد فعل الخليل ذلك لأنه لاحظ^(١) أن « كلام العرب مبنى على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي » .

كما لاحظ^(٢) أنه « ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف . فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف : ففى فعل واسم ، فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليست من أصل الكلمة مثل قَرَعْبَلَانَه ، إنما أصل بنائها ، قَرَعْبَل ، ومثل عنكبوت ، إنما أصل بنائها : عنكب » .

كيفية الكشف عن مادة من مواد العين :

لنفرض أننا كُلفنا بالكشف عن الكلمات الآتية في معجم العين وهى :
 الوعى - المتدحرج - الفم - الإرث .

فإننا نتبع الخطوات الآتية - حسب الأسس التى اختارها الخليل ليعنى عليها ترتيب معجمه - :

(١) العين بتحقيق د . درويش : ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥٤ .

أولا : نجرد الكلمات من زوائدها ، فتصبح كما يلي :

وعى - دحرج - فم - إرث .

ثانيا : نرد الحرف المحذوف إلى مكانه فيصبح فم : فَمَوْ .

ثالثا : نرد الحرف المقلوب إلى أصله فتصبح إرث : ورث .

رابعا : نبحت عن أبعد الحروف مخرجا في كل كلمة - حسب ترتيب الخليل السابق الذكر^(١) - فنجدها كما يلي :

وعى : أبعد حروفها مخرجا : العين ، فتكون في حرف العين .

دحرج : أبعد حروفها مخرجا : الحاء ، فتكون في حرف الحاء .

فمو : أبعد حروفها مخرجا : الفاء ، فتكون في حرف الفاء .

ورث : أبعد حروفها مخرجا : التاء ، فتكون في حرف التاء .

خامسا : نحدد مكان كل كلمة في كتابها حسب ما بنيت عليه من حروف ، وبناء على ذلك نجد :

وعى : في حرف العين : باب اللفيف المفروق .

دحرج : في حرف الحاء : باب الرباعي .

فمو : في حرف الفاء : باب الثلاثي المعتل .

ورث : في حرف التاء : باب الثلاثي المعتل .

وكل ذلك يتطلب مهارة صوتية وصرفية ، قد لا تتوفر عند كثيرين ، ولذلك اتسم منهج الخليل بالصعوبة ، مما حدا بالمعجميين بعده إلى أن يذللوا للناس ما صعب في منهجه ، وإلى أن يطوروا معاجمهم ، نزوعا إلى اليسر والسهولة ، وذلك كما نرى من دراستنا للمعاجم العربية التي أعقبت معجم الخليل ، في أزمان متعاقبة .

(١) انظر ص : ٩٠ من هذا الكتاب .

لَمْ يُسَمَّيْ مَعْجَمُ الْخَلِيلِ بِاسْمِ : الْعَيْنِ ؟

سمى بهذا الاسم لأنه بدأ كتابه بالعين ، حيث قال^(١) : « بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين ، ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب : الواضح والغريب » .
ولما كان (العين) أول كتاب يقابل القارىء : فقد اشتهر بهذا الاسم ، خاصة وأن صاحبه لم يضع له اسما آخر .

وَلَمْ يَدْأُ بِالْعَيْنِ وَلَمْ يَدْأُ بِغَيْرِهَا ؟

مما لا شك فيه أن الخليل قد فطن إلى أن الهمزة أعمق مخرجا من العين ، ولكنه لاحظ عليها التغير ، فمرة تتحول إلى مَدَّةٍ ، ومرة تحذف ، ولذلك فقد عدها ضمن حروف العلة ، ولم يبدأ بها كتابه .

كما فطن أيضا إلى أن الهاء تلى الهمزة في الحلق ، وتسبق العين ، ولكنه وجدها مهموسة خفية ، فلم يشأ أن يبدأ بها . ثم اتجه إلى ما هو أعلى منها في الحلق ، فوجدها : العين ، وعرف - من صفاتها - أنها أصلح حروف الحلق للبدء بها ، لأنها مجهورة^(٢) .

نموذج من معجم العين :

من : حرف العين - الثنائى المضاعف

باب العين والذال^(٣)

(دَعَّ : مستعمل فقط) .

دَعَّ : الذعذعة : تحريك الريح الشيء حتى تفرقه
وتمزقه ، يقال : قد دَعَّدَعْتُهُ ، ودَعَّدَعْتَ الريح التراب :
فَرَّقْتُهُ وَسَفَّيْتُهُ فَنَدَعَّدَعْتُ ، قال النابغة :

(١) العين : بتحقيق د . درويش : ص ٦٧ .

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٣٤ ، المزهر للسيوطى : ١ / ٩٠ ، البحث اللغوى عند العرب - د . أحمد مختار عمر : ص ١٧٠ .

(٣) العين : بتحقيق د . درويش ص ٦٧ .

غَنِيْتُ لَيْمًا نَسَارِلَ مُقْبِرَاتٍ تُذْغِدُهَا مُذْغِدَةٌ حُسُونُ

باب العين والثاء^(١)

(ع ث ، ث ع)

عث : العُتَّةُ : السُّوسَةُ ، عَثَّتِ العُتَّةُ الصَّوْفَ ثَعَثَهُ عَثًّا :
أى أَكَلَتْهُ .

وَالْعُتْعَثُ : ظَهَرُ الْكَيْسِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ نَبَاتٌ

قال القطامي :

كَأَنَّهَا بَيْضَةُ عَزَاءٍ لُحْدٌ لَهَا فِي عَثْعَثٍ يُنْبِتُ الْحُوزَانَ وَالْعَدَمَا^(٢)

ثَعَّ : الثَّعْثَةُ : حِكَايَةُ كَلَامِ الرَّجُلِ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الثَّاءُ وَالْعَيْنُ ،
فَهِيَ لُثْعَةٌ فِي كَلَامِهِ .

من : باب الثلاثي الصحيح من حرف العين

باب العين والهاء والكاف^(٣)

(هـ ك ع ، مستعمل فقط)

هكع :

يقال : هكع يهكع هُكُوعًا : أى سَكَنَ وَاطْمَأَنَّ ، قَالَ

الطَّرِمَّاحُ :

تَرَى الْعَيْنَ فِيهَا مِنْ لَدُنْ مَتَعَ الصُّحَا إِلَى اللَّيْلِ فِي الْغَيْضَاتِ وَهِيَ هُكُوعٌ



(١) العين : بتحقيق د. درويش ص ٦٧ .

(٢) الحوزان والعذما : نباتان - اللسان : حوذ ، عذم .

(٣) العين - ص ١١٢ .

باب العين والهاء والجيم^(١)

(ع ه ج ، ه ج ع ، مستعملان)

عهج :

العوهج : ظيئة حسنة اللون ، طويلة العنق ، يقال : هي التي في حَقْوَيها خطان سوداوان .

والناقة الفتيّة : عَوْهَج . والنعامه : عوهج ، لطول عنقها ، قال العجاج :

كالجشّي التّفّ أو تسبّجاً في شَمْلَةٍ أو ذات زف عوهجها
شَبّه الظّليم بجشّي لف على نفسه كساء .

وعن عَرّام : يقال للناقة الفتيّة وللمرأة الفتيّة : عوهج .

هجع :

الهُجُوع : نوم الليل دون النهار . يقال لقيته بعد هجعة .
وقوم هُجَّعٌ وهجوع وهاجعون . وامرأة هاجعة ونسوة
هواجع وهاجعات . ورجل هُجَّع أى : أحمق غافل سريع
الاستئامة .

الهَجَّة - ومثلها الجَعَّة ، عن أبي سعيد - نبيذ الشعير
والذرة ، وعن أبي عبيدة : نبيذ الشعير .

ملحوظات على هذا النموذج من معجم العين

١ - أن الخليل يقلّب المادة على جميع وجوهها الممكنة ، ثم لا يكتب منها إلا
المستعمل فقط ، فإذا كانت كل التقلّيات مستعملة نبه عليها .

(١) العين ص ١١٣ .

٢ - أنه لم يعتمد على مؤلفات السابقين له في استقراء اللغة وجمعها واستقصائها ، ولم يعتمد على مشافهة الرواة فقط ، وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية ، حيث اعتمد على طريقة التقلييات تلك ... واستعان بثقافته اللغوية الخصبية ، وبخبرته الصوتية الباهرة ، ومعرفته بالتجمعات الصوتية المسموح بها ، وغير المسموح بها في اللغة العربية : في تمييز المستعمل من المهمل^(١) .

ولذلك نلاحظ أنه ندر استشهاده بأقوال اللغويين والرواة العرب ، بخلاف ما فعله أصحاب المعاجم الأخرى ، ففي النموذج المذكور لم يذكر منهم سوى : عرام وأبي سعيد وأبي عبيدة .

٣ - أنه يكثر من الاستشهاد بأشعار العرب - جاهليهم وإسلاميهم - كما استشهد بالقرآن الكريم ، وبأقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أماكن أخرى^(٢) .

٤ - أنه لم يسر على وتيرة واحدة في تفسير المواد ، فمرة يبدأ بالمصدر ومرة بالاسم وأخرى بالفعل ، ويدلو أنه كان يسجل ما يأتي على خاطره دون ترتيب معين .

٥ - أن الألفاظ التي تحتاج إلى تشكيل : لم تشكل إلا بسن القلم ، مما يعرض كتابه للتصحيف .

دراسات حول معجم العين :

ونظرا لأهمية معجم العين ، ولما له من مكانة كبيرة عند اللغويين اللاحقين بالخليل بن أحمد : فقد دارت حوله دراسات متنوعة ، نتج عنها كتب كثيرة ، بعضها يكمل ناقصه ، وبعضها ينقده ، وبعضها يدافع عنه ، وبعضها الآخر : يختصره .

(١) انظر : البحث اللغوي عند العرب - د . أحمد مختار عمر : ص ١٦٠ .

(٢) انظر : مادة : عقي ، ومادة : عزز .

فأهم الكتب التي أكملت ناقصه ، هي :^(١) .

١ - كتاب الاستدراك على الخليل في المهمل والمستعمل لأسى تراب (ت ٢٤٥ هـ) .

٢ - كتاب ما أغفله الخليل في كتاب العين ، وما ذكر أنه مهمل وهو مستعمل ، وما هو مستعمل وقد أهمل ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الكيرماني .
النحوى الوراق (ت ٣٢٩ هـ) .

٣ - كتاب فائت العين لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز ، غلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ) .

٤ - كتاب التكملة لأبي حامد بن محمد البشتي الخارزنجي (ت ٣٤٨ هـ) .

٥ - كتاب الحصائل (أى تحصيل ما أغفله الخليل) لأبي الأزهر البخارى ، من أهل القرن الرابع الهجرى ، ومن معاصرى الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) .

٦ - كتاب المستدرك من الزيادة فى كتاب البارع لأبي على البغدادي على كتاب العين للخليل بن أحمد ، تأليف أبى بكر الزبيدى ، رواه عنه أبو بكر عبادة بن ماء السماء .

٧ - كتاب الاستدراك لما أغفله الخليل ، لأبى الفتح محمد بن جعفر الهمداني المراغى (ت ٣٧١ هـ) .

٨ - الموعب ، لابی غالب تمام بن غالب ، المعروف بابن التيانى (ت ٤٣٦ هـ) .

أما الكتب التي نقدته ، فأهمها^(٢) :

١ - كتاب الرد على الخليل ، وإصلاح ما فى كتاب العين من الغلط والمحال ، لأبى طالب المفضل بن سلمة الكوفى (ت ٣٠٨ هـ) .

(١) انظر : المعجم العربى : د . حسين نصار : ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٢) انظر المعجم العربى : ١ / ٣٠٢ .

٢ - كتاب الرد على الليث ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) .

٣ - كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ، لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩ هـ) .

٤ - كتاب غلط العين ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) .

والكتب التي دافع أصحابها عنه وحاولت إنصافه : من أهمها ما يلي^(١) :

١ - كتاب التوسط لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) .

٢ - كتاب الرد على المفضل في نقضه على الخليل ، لإبراهيم بن محمد نفطويه (ت ٣٢٣ هـ) .

٣ - كتاب الرد على المفضل في الرد على الخليل ، لعبد الله بن جعفر بن دُرستويه (ت ٣٤٧ هـ) .

٤ - رسالة الانتصار للخليل فيما رُد عليه في العين لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) .

أما الكتب التي اختصرت العين فأهمها اثنان :^(٢) .

١ - كتاب مختصر العين لأبي الحسن علي بن القاسم السنجاني .

٢ - كتاب مختصر العين لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي ، (ت ٣٧٩ هـ) .

كلمة في النهاية :

وعلى الرغم من كل ما وجه إلى معجم العين من نقد : فإننا لا نستطيع إلا أن نُزجى خالص الشكر ، ونبدى غاية التبجيل لصاحبه : الخليل بن أحمد ، تلك

(١) انظر : المعجم العربي : ١ / ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٠٧ .

العبرية العربية الفذة ، التي استطاعت أن تخرج هذا المعجم الجليل ، الذي أصبح مرجعا لكل المعجميين الذين جاءوا بعده ، سواء منهم من صرح بذلك أم لم يصرح . . فالجميع - على اختلاف مدارسهم - عالة على الخليل ، وإن اختلفوا عنه في المنهج ، وإن ساروا في طريق غير طريقه ، فهو الذي عبّد لهم هذا الطريق الوعر ، وأنار لهم جوانبه ، وذللّ لهم نافرته وجمع شاردته . . فجزاه الله عن العريـ خـير الجزاء ، وأجزل له المثوبة جزاء ما أعطى وما قدم لأبنائها .

تلاميذ مدرسة التقليلات الصوتية

انخرط في سلك مدرسة التقليلات الصوتية تلاميذ كثيرون ساروا على نهج الخليل في معجمه (العين) وساروا خلفه حذوك النعل بالنعل ، اللهم إلا بعض اصلاحات طفيفة في التفاصيل والجزئيات^(١) .

ومن أهم تلاميذ هذه المدرسة :^(٢)

١ - أبو علي القالي صاحب

(البارع في اللغة)

وهو : أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون القالي ، ثم البغدادى . (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ) تلميذ ابن دريد^(٣) .

هدفه من تأليفه :

وقد رمى أبو علي القالي في معجمه هذا - كما يذهب بعض النقاد

(١) انظر : المعجم العربى : ٣٠٧/١ .

(٢) انظر : المرجع السابق : نفسه .

(٣) انظر : إنباه الرواه للقفطى : ١ / ٢٠٤ - ٢٠٩ .

المعجمين^(١) - إلى ما يأتي :

١ - تلافي النقص الذي رآه في معجم العين ومعجم أستاذه ابن دريد (جمهرة اللغة) .

٢ - نقل حركة المعاجم اللغوية التي ازدهرت في المشرق العربي إلى المغرب العربي بالأندلس ، حيث كان (البارع في اللغة) أول مؤلف معجمي يؤلف في الأندلس .

منهجه^(٢) :

١ - على الرغم من التطور المعجمي الذي أدخله ابن دريد (أستاذ القالي) على المعاجم العربية ، حيث أحدث نظام التقليلات الهجائية بدلا من الصوتية ، إلا أن أبا على القالي رجع إلى نظام الخليل ، وهو نظام التقليلات الصوتية (على الرغم من صعوبتها على غير المتخصصين) .

٢ - لم يسر على نفس ترتيب الخليل لمخارج الحروف ، بل عدل فيها بعض الشيء ، وذلك حيث رتبها على النحو التالي : هـ / ع / غ / إلخ .

٣ - حاول إصلاح بعض الاضطراب في أبواب العين ، وجاءت الأبواب عنده ستة أبواب ، وهي - بالترتيب : أبواب الثنائي المضاعف (وكان يسميه باب الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة^(٣)) - أبواب الثلاثي الصحيح - أبواب الثلاثي المعتل - أبواب الحواشي أو الأوشاب - أبواب الرباعي - أبواب الخماسي .

٤ - ملأ الأبواب بالتقليل كما في العين دون تغيير يذكر ، ثم ميز كل تقليل بكلمة : (مقلوبه) أو : (ومن مقلوبه)^(٤) .

ومع ذلك فإن بعض النقاد المعجميين يرون^(٥) أن « القالي أراد إصلاح بعض

(١) أنظر : المعجم العربي : ١ / ٣١٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) انظر : مصورة فولتون لقطع من كتاب البارع : بدار الكتب المصرية ص ١١٤ .

(٤) انظر : ص ٢ ، ٣ من المصورة السابقة الذكر .

(٥) د . حسين نصار - المعجم العربي : ١ / ٣١٩ .

وجوه النقص في كتاب العين ، فغير في منهجه بعض الأمور ، ولكنه حين أراد تطبيقها عمليا ، اضطرب وأخفق في كثير منها » .

وصف (البارع) :

كان هذا الكتاب ذا حجم كبير ، إذ يقال : إنه كان يتألف من ٤٤٤٦ أو ٥٠٠٠ ورقة ، تنقسم إلى ١٦٤ جزءاً^(١) .

ويبدو أن كبر حجم هذا الكتاب كان سببا في عدم قدرته على اختراق الزمان والمكان لكي يصل إلينا كاملا ، حيث لم تبق منه سوى « قِطْع من حروف الهاء والغين والقاف والجيم والطاء والذال والتاء تتخللها خروم كثيرة »^(٢) .

٢ - الأزهرى

صاحب تهذيب اللغة

وسوف أفصل الأمر بالنسبة لهذا المعجم وصاحبه ، نظرا لأنه صاحب الموسوعة اللغوية الأولى التي بقيت تناطح الأحداث حتى وصلت إلينا كاملة غير منقوصة^(٣) ، كما أنه « يعد من أوثق المعاجم اللغوية »^(٤) .

أولا : الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ)

هو : أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهرى ،
الهروى ، الشافعى^(٥) .

(١) انظر إنباه الرواه للقفطى : ١ / ٢٠٦ .

(٢) انظر : المعجم العربى ١ / ٣١٧ ، ومصورة فولتون السابقة الذكر .

(٣) انظر : المعجم العربى ١ / ٣٣٢ .

(٤) عبد السلام هارون - مقدمة تحقيق التهذيب : ص ١٦ - طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان - بتحقيق محمد محيى الدين : ٣ / ٤٥٨ .

وقد اشتهر بالأزهرى : نسبة إلى جده : الأزهر .

كما نسب إلى هراة : لأنه ولد بها سنة ٢٨٢ هـ^(١) ، وهى مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، قال عنها ياقوت حين رآها :^(٢) « ولم أر بخراسان عند كوفى بها فى سنة ٦٠٧ هـ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها . فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة ، محشوة بالعلماء ، ومملوءة بأهل الفضل والثراء » .

وعرف بالشافعى نسبة إلى مذهبه الفقهى الذى كان شديد الانتصار له ، وقد قال عنه صاحب طبقات الشافعية^(٣) : « كان إماما فى اللغة بصيرا بالفقه ، عارفا بالمذهب ، على الإسناد ، ثخين الورع ، كثير العبادة والمراقبة ، شديد الانتصار لألفاظ الشافعى متحريرا فى دينه » .

حياته :

عاش فى هراة التى ولد فيها ، وتعلم على يد علمائها ، ولما وصل إلى سن الشباب عزم على السفر إلى مكة ليؤدى فريضة الحج ، وفى أثناء عودته منها سنة ٣١٢ هـ ووقع فى أسر القرامطة^(٤) الذين اعترضوا الحجاج بقيادة أبى طاهر الحسين بن أبى سعيد الجنائى (الذى كان سيئه إذ ذاك : سبع عشرة سنة) فأعملوا القتل والسلب والنهب والأسر فى هؤلاء الحجاج .

وكان الأزهرى ضمن الأسرى ، وقد سجل هذه الحادثة فى مقدمة تهذيب اللغة حيث قال :^(٥) .

(١) معجم البلدان : ٨ / ٤٥١ ط مطبعة السعادة بمصر .

(٢) وهو السبكى : ج ٣ / ٦٤ بتحقيق محمود الطناحى وآخر - ط عيسى الحلبي بمصر .

(٣) القرامطة : نسبة إلى قُرْمِط ، وهو أبو سعيد الحسن الجنائى (نسبة إلى جنابة من سواحل بحر فارس) ذلك الذى أظهر مذهب القرامطة للذموم سنة ٢٨١ هـ وفى خلافة المعتضد - انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان : ٣ / ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٤) تهذيب اللغة : ١ / ٧ .

وكنيت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج
بالمهير^(١) وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا ،
عامتهم من هوازن واختلط بهم أصرام^(٢) من تميم وأسد
بالمهير ، نشئوا بالبادية يتبعون مساقط الغيث أيام
التَّجَع^(٣) ، ويرجعون إلى أعداد المياه^(٤) ، ويرعون النعم ،
ويعيشون بالبنيا ، ويتكلمون بلعهم البدوية ، وقرائحهم
التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقهم^(٥) لحن أو خطأ
فاحش فبقيت في إسارهم دهرًا طويلا .

وكنا نَشْتِي الذَّهْناء^(٦) ونترجع الصَّمَّان^(٧) وننقيظ
السَّتَارَيْنِ^(٨) .

واستفدت من مخاطباتهم ، ومحاورة بعضهم بعضا ألفاظا
جدة ، ونوادير كثيرة ، أوقعت أكثرها في مواقعها من
الكتاب .

ونلاحظ من ذلك : أن الأزهرى استفاد من الأسر استفادة جلييلة وخاصة في
محيط اللغة ، ولهجة الخطاب ، والثروة اللفظية والنوادير التي لم يكن قد اطلع عليها
في كتب اللغة الأخرى .

(١) المهير : رمل زرود في طريق مكة - معجم البلدان : ٨ / ٤٤٤ .

(٢) أى جماعات .

(٣) أى : أيام طلب الكلأ في مراضعه .

(٤) أى : آبار المياه التي يعرفونها ويستوطنون حولها .

(٥) أى : في كلامهم .

(٦) موضع بيلاد تميم ، قليل الماء ، كثير الكلأ ، ليس في بلاد العرب مَرِيعٌ مثلها - انظر : معجم

البلدان : ٤ / ١١٥ .

(٧) الصمان : متاخم للدهناء ومثلها في العشر - وقد قضى فيها الأزهرى شتوين أيام كان

أسيرا - اللسان : صمم .

(٨) هما واديان في ديار بنى سعد ، وفيهما عيون مَرَّة تسقى نخيلا كثيرا - اللسان : ستر .

ورب ضارة نافعة - كما يقولون - فقد أوقعه حظه في إفسار مجموعة من العرب الخُلص ، الذين لم يكونوا قد اختلطوا بالأعاجم ، ولذلك وجدهم يتكلمون حسب طبيعتهم البدوية ، التي بعدت عن اللحن ، الذي كان فاشيا عند غيرهم في ذلك الوقت ، فاستفاد من التخاطب معهم ومن تخاطبهم مع بعضهم ، كما حفظ كثيرا من ألتاظهم ونواديرهم الجديدة بالنسبة له .

كما نلجح من مقالته تلك أنه مكث لدى هؤلاء القوم دهرا طويلا ، بدليل أنه مرت عليه فصول السنة وهو معهم يتنقل من أماكن الشتاء إلى أماكن الصيف ، إلى مساقط المطر حيث المرعى .

وعندما تخلص من الأسر لم يذهب إلى هَراة مباشرة ، وإنما ذهب إلى بغداد ليستكمل العلم بما فتنه من ألفاظ العربية ، وذخيرتها الغفيرة ، وكنوزها العديدة . .

فتلمذ ببغداد على : نفطويه (ت ٣٢٣ هـ) وابن السَّرَّاج (ت ٣١٦ هـ) والبعَوى (ت ٣١٧ هـ) وغيرهم من مشاهير علماء اللغة .

ولم يمكث ببغداد طويلا فما لبث أن عاد إلى هراة - مسقط رأسه - فاشتغل فيها بالفقه على مذهب الإمام الشافعي ، ثم أكمل دراسته في اللغة على مشايخ بلده^(١) .

وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ :^(٢) .

- ١ - أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذرى الهروى (ت ٣٢٩ هـ) .
- ٢ - أبو محمد المُرْزى (أحمد بن عبد الله - ت ٣٦١ هـ) .
- ٣ - أبو التَّاسِم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى (الذى تلمذ عليه في بغداد أيضا) .

(١) انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٥٨ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة - مقدمة المحقق : ص ٩ ، ١٠ .

- ٤ - أبو بكر بن عثمان .
٥ - أبو محمد عبد الله بن محمد بن هاجك .
٦ - أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب البغوي .

وقد ذكر هؤلاء الشيوخ في كتابه (تهذيب اللغة) .

تلاميذه :

حين ألف كتابه تهذيب اللغة ، ذاع صيته وأقبل عليه طلاب الدراسات اللغوية ليقروا عليه هذا الكتاب في هرة ومنهم :

- ١ - أبو عبيد الهروي (ت ٤٠١ هـ) صاحب : كتاب الغرييسن (غريب القرآن وغريب الحديث) .
٢ - أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي (توفي سنة ٣٩٩ هـ) وغيرهما كثير^(١) .

وفاته :

توفي سنة ٣٧٠ هـ بهرة التي وُلد بها^(٢) .

ثانيا : معجم تهذيب اللغة

ألف الازهرى كتباً كثيرة في اللغة والتفسير والحديث^(٣) ، ولكن كتابه تهذيب اللغة كان في قمة تأليفه^(٤) .

(١) انظر : تهذيب اللغة - مقدمة المحقق : ١ / ١٠ - ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ .

(٣) انظر تفصيل هذه الكتب في مقدمة محقق التهذيب : ص ١٣ - ١٥ .

(٤) انظر : المرجع السابق : ص ١٣ .

لَمْ سَمَّاهُ الْأَزْهَرِي : تهذيب اللغة ؟

سماه بهذا الاسم لأنه قصد إلى : نفى ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الجهلاء عن صيغتها ، وذلك كما يقول : « فهدبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علسي ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله ، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب »^(١) .

ولذلك فإنه لم يودع كتابه هذا إلا ما صح له « سماعا منهم ، أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها »^(٢) معرفته .

ومن أجل ذلك أيضا : فقد حذف كثيرا من المواد والشواهد الموجودة في كتب غيره لعدم ثقته في صحتها .^(٣)

غرضه من تأليف الكتاب :

١ - كان غرضه الأول من تأليف هذا الكتاب : الاستعانة به على معرفة معاني القرآن الكريم ، وألفاظ السنة النبوية ، وهذا ما دعاه - كما يقول - : إلى « تقييد نكت حفظتها ، ووعيتها ، عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنينا ، إذ كان ما أثبتته كثير من أئمة أهل اللغة في الكتب التي ألفوها والنوادر التي جمعوها : لا ينوب مناب المشاهدة ، ولا يقوم مقام الدورية والعادة »^(٤) .

٢ - الغرض الثاني : « النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في إفادتهم ما لعلهم يحتاجون إليه »^(٥) .

(١) : مقدمة التهذيب : ١ / ٥٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٠ .

(٣) انظر : السابق - نفسه .

(٤) المرجع السابق : ص ٦ .

(٥) انظر : المرجع السابق .

٣ - التنبيه على التصحيف والتحريف الذى دخل كتب السابقين عليه مما لا يتنبه له أهل جيله^(١) .

متى ألفه ؟

يفهم من مقدمته أنه ألفه بعد بلوغه السبعين من عمره ، أى فى نحو سنة ٣٥٢ هـ^(٢) .

قيمة التهذيب : مما لا شك فيه أنه^(٣) :

لا يعرف قدر هذا الكتاب حق المعرفة إلا من نظر فيه طويلا وتتبع منهجه الوثيق فى تفسير اللغة والأمانة الصادقة التى كان يستشعرها وهو يصنع كتابه وفضلا عن القدر الهائل من المادة اللغوية التى يحويها ، - محاولا بها تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوى ، وأشعار العرب وأمثالها - :

نجد له خاصة ظاهرة ، هى عنايته بالناحية البلدانية ، التى استوعب بها : التعريف بالكثير من بلدان الجزيرة العربية ، وهو اتجاه مبكر على نطاق واسع فى التأليف المعجمى ، بلغ ذروته فيما بعد ، فيما صنع الفيروزباده « فى معجمه : القاموس المحيط .

وكذا عنايته الخاصة بشرح الأحاديث النبوية التى فاتت أبا عبيد والقتيبى (ابن قتيبة) والخطابى .

ويكفى أن نذكر أن صاحب لسان العرب اعتمد عليه

(١) انظر : مقدمة محقق التهذيب : ص ٢٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

اعتمادا كاملا ، وجعله فى قمة مصادره . واستطيع أن أقول :
إن صاحب اللسان قد أفرغ معظم الكتاب فى تضاعيف
معجمه ، فندر أن تجد نصا للأزهري لم ينقله ابن منظور^(١) .
وفى ذلك يقول صاحب اللسان فى مقدمته^(٢) :

ولم أجد فى كتب اللغة أبجل من تهذيب اللغة لأبى منصور
محمد بن أحمد الأزهري ، ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن
على بن إسماعيل بن سيده الأندلسى ، رجهما الله ، وهما من
أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداهما بالنسبة إليهما
ثنيات للطريق .

حجم التهذيب :

يقع التهذيب فى سبعة عشر جزءا ، محققة ومراجعة بأيدى نخبة من اللغويين
الذين وفرتهم المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بمصر على القيام بهذا
العمل ، ليخرج إلى القراء فى ثوب قشيب ، وليحقق الغرض الذى إليه قصد
صاحبه .

وقد كان كبر حجمه هذا سببا فى عزوف كثيرين عن دراسته وتعقبه
ونقده^(٣) .

منهجه فى ترتيب مواد اللغة :

جرى كتاب التهذيب على نفس النمط الذى جرى عليه العين للخليل بن
أحمد :

١ - فالتزم ترتيب المخارج الذى ابتكره الخليل ، ولذلك يقول الأزهري فى

(١) مقدمة محقق التهذيب .

(٢) اللسان : ١ / خ - ط دار لسان العرب بيروت - إعداد : يوسف خياط .

(٣) المعجم العربى : ١ / ٣٥٧ .

مقدمته : (١) .

وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه .

- ٢ - وقسم معجمه إلى حروف بدأها بحرف العين (٢) .
- ٣ - وقسم كل حرف إلى ستة أبواب : الثنائى المضاعف - والثلاثى الصحيح - والثلاثى المعتل - واللفيف - والرابعى - والخماسى .
- ٤ - قلب كل مادة على جميع وجوها .
- ٥ - ونبه على المستعمل منها فشرحه ، وترك المهمل .

طريقة الكشف فى هذا المعجم :

هى نفس الطريقة التى تكشف بها فى معجم العين ، وقد وضحتها سابقا (٣) فأغنى ذلك عن ذكرها هنا .

مراجع التهذيب :

أغنانا الأزهرى عن التطواف حول مراجعه للوقوف عليها ، وذلك بأن وضع لنا فى مقدمته - الضافية الطويلة التى تعالج موضوعات متنوعة - ما اعتمد عليه من الكتب ، ومن اعتمد عليهم من المؤلفين واللغويين الذين سبقوه أو عاصروه ، وذلك تحت عنوان : « باب ذكر الأئمة الذين اعتمادى عليهم فيما جمعت فى هذا الكتاب » (٤) ، ثم يقسمهم إلى طبقات ثلاث غير من عاصروه ، ويتحدث عما أخذ من كل منهم ، ومكانته اللغوية إلى غير ذلك (٥) .

(١) التهذيب : ١ / ٤١ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٥٥ .

(٣) انظر : ص ٩٢ من هذا الكتاب .

(٤) مقدمة التهذيب : ص ٨ .

(٥) انظر : المرجع السابق : ص ٨ - ٤٣ .

نموذج من معجم التهذيب :

سوف أذكر نموذجا مطابقا لمادة من النموذج الذى أخذته من معجم العين ،
أيسنى لنا المقارنة بينهما من حيث طريقة التناول والمادة اللغوية الموجودة فى كل
منهما :

من حرف العين - باب المضاعف

(باب العين والذال)

استعمل من وجهيه :

(ذع) :

قال الليث : الذَّعْدَعَةُ : التفريق .

قلت : وأصله من باب ذاع يذيع وأذعته أنا ، فنقل إلى المكرر المضاعف ،
كما يقال : نخنخ بغيره فتخنخ من الإناخة .

ويقال : دَعَدَعَ فلان ماله ، إذا بذره . ودَعَدَعَتِ الرياح التراب إذا فرقته وذرتة
وسَفَّتْهُ ، كل ذلك معناه واحد . وقال النابغة :

غَشِيَتْ لَهَا مَنَازِلَ مَقْوِيَسَاتٍ ثَدَعِدُعُهَا مُدْعِدُعَةٌ حُؤُنُ

ورجل دَعْدَاع ، إذا كان مَذْيَاعًا للسر ، نماما لا يكتم سرا .

وتدعذع شَعْرُهُ ، إذا تشَعَّتْ وتمَرَّط .

وقال بعضهم : رجل مُدْعَدْع ، إذا كان دَعِيًّا .

قلت : ولم يصح لى هذا الحرف من جهة من يوثق به والمعروف بهذا المعنى :
رجل مدغدغ .

وقرأت بخط أبى الهيثم :

وعذارىكم مقلصة فى ذَعَاعِ النَّحْلِ تُجْتَرِمُهُ

قال أبو الهيثم : الرواية « في دعاع النخل » . قال : ودعاع تصحيف . قال :
والدُّعاع : الفرق ، واحدها : دُعاعة . قال : والدُّعاع : النَّخْل المتفرق . قال :
ويقال : الدُّعاع : ما بين النخلتين ، بضم الدال .

ونلاحظ على هذا النموذج القصير ما يلي :

- ١ - أن مادة التهذيب واسعة ، ولا عجب في ذلك ، فقد وضع الأزهرى أمامه معاجم اللغة السابقة عليه ، والرسائل اللغوية الكثيرة التى أفاد منها - كما قال فى مقدمته ، وأخذ يغترف من هذه ومن تلك حتى ارتوى .
- ٢ - أنه ينسب الأقوال إلى أصحابها إن علمهم ، وإن لم يعرفهم قال : (قال بعضهم) ، أو : (ويقال) .
- ٣ - أخذ من العين ما صح عنده ونسبه إلى الليث تحت قوله : قال الليث .
- ٤ - يتدخل برأيه فيصحح ما صحف حيث قال : « قلت : ولم يصح لى هذا الحرف من جهة من يوثق به » ثم يذكر الصحيح وهذا يدل على بروز شخصيته .
- ٥ - استشهد بما يمكن الاستشهاد به ، والبيت الذى استشهد به أخذه من معجم العين .

الجديد الذى أتى به الأزهرى فى التهذيب :

- لم يكن هناك جديد يذكر من ناحية المنهج ، إنما الجديد كان فى زيادة المواد :
- ١ - « إذ زاد على مادة العين والجمهرة كثيرا من المواد والمعانى بل الأقوال التى تفسر لفظا واحدا ، ذا معانٍ متقاربة - وربما واحدة - وصدرت من لغويين مختلفين »^(١) .
 - ٢ - كما « فحص ألفاظه فحصا شديدا ، ونقد ألفاظ سابقيه ، فصصح كثيرا من مفردات اللغة »^(٢) .

(١) المعجم العربى - د . نصار : ١ / ٣٥٨ .

٣ - احتفاله « بالشواهد القرآنية والحديثية الكثيرة التي أدخلها في معجمه ، فأصبحت من التراث المعجمي »^(١) ، ولا عجب في ذلك فقد كان من أهداف المؤلف ربط القرآن الكريم والدين باللغة .

ما يؤخذ عليه :

١ - أهم ما يؤخذ على معجم التهذيب : هو ما يمكن أن يؤخذ على مدرسة التقلبات الصوتية بأكملها ، ألا وهو صعوبة البحث فيها ، والاحتياج إلى مهارة صوتية وصرفية ؛ حتى يمكن للباحث أن يجوس خلالها .

٢ - هذا بالإضافة إلى التكرار نتيجة لجمعه عن السابقين ، حيث كان يورد أكثر من قول للمعنى الواحد دون زيادة في كل منها .

٣ - والتعصب - في بعض الأحيان - لما يقوله ، حتى ولو خالف أقوال جمهور من العلماء ، وقد كان ذلك لهوى في نفسه^(٢) .



(١) المعجم العربي - د. نصار : ٢٥٧/١ .

٣ - معجم (المحيط)

للساحب بن عباد (٣٢٤ - ٣٨٥ هـ)

وهذا المعجم سار فيه ابن عباد (أبو القاسم إسماعيل بن عباد الوزير الأديب المشهور) على نفس النهج الذى سار عليه الخليل والأزهري ، فى ترتيب الحروف ، ونظام التقاليب الصوتية ، ولكنه اتبع الأزهري فى ترتيب الأبواب .
ويوجد من هذا المعجم جزء يسير يقال إنه الجزء الثالث - فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٢ لغة) .

ومن ترجموا للساحب بن عباد : لم يُعْنُوا بهذا المعجم ولم يَصِفُوهُ لنا وصفا كاملا ؛ لعنايتهم ، بموهبته الأدبية التى كانت أساس شهرته^(١) .

خصائص هذا المعجم :

١ - الاختصار فى تفسير الألفاظ اللغوية ، حيث كان يعتمد على تفسير واحد للفظ لا يتعداه إلى غيره ، ولا يذكر أحدا من اللغويين الذين أخذ عنهم ، اللهم إلا الخارزنجي (أحمد بن محمد البشتي - ت ٣٤٨ هـ) الذى كان ينقده أحيانا ويأخذ منه أحيانا أخرى .

كما كان يقلل من الشواهد ما عدا النادر منها .

٢ - انفراده بألفاظ وصيغ ومعان لم يذكرها أحد قبله ، مما جعل معجمه يتضخم على الرغم من اختصاره .

ويبدو أن هذه الزيادات كانت من عند ابن عباد ، نتيجة اطلاعه على الجمل الغفير من كتب اللغة .

٣ - اهتمامه بالعبارات المجازية ، ويبدو أن هذا قد انعكس عليه من موهبته الأدبية

(١) انظر : المعجم العربى - د . نصار : ١ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

مآخذه :

أما أهم المآخذ التي أخذت عليه فهي :

١ - تقليله الشواهد ، خاصة تلك التي كان معجمه في أمس الحاجة إليها ، وهي شواهد الألفاظ والمعاني والصيغ الجديدة التي ذكرها في معجمه ولم يُجمع عليها اللغويون من قبله .

٢ - إهماله ذكر المراجع وأسماء اللغويين الذين رجع إليهم ، وأخذ عنهم تلك الألفاظ الجديدة .

٣ - اضطراب بعض المواد عنده ، حيث عدها من الرباعي والخماسي ، ووضعها في كلا النوعين^(٢) .

مكانته بين المعاجم :

لم يُضِفْ إليها جديدا ، اللهم إلا الألفاظ الجديدة التي زادها ، ولذا كان هذا المعجم بمثابة استدراك على المعاجم السابقة .

ولذلك - أيضا - لم تقم حوله دراسات تذكر ، إلا أن الصاغانى (ت سنة ٦٥٠ هـ) قد استفاد منه كثيرا في معجمه (العُباب) .

٤ - معجم : المحكم والمحيط الأعظم

لابن سيده (٣٩٨ - ٤٥٨ هـ)

مؤلفه : هو على بن إسماعيل بن سيده ، الذى ألف المخصص .

(١) انظر : المعجم العربى ١ / ٣٦٧ - ٣٧٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٣٧٠ .

لمن ألفه ؟ وقد ألفه بناء على أمر من : مجاهد بن عبد الله العامري - أحد
حكام الأندلس (ت ٤٣٦ هـ) والذي كان على علم وبَصَرٍ بالعربية ، وكان
يأتيه العلماء من كل صقع ، ومنهم أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) القاريء
المشهور ، وصاحب التصانيف الكثيرة في القراءات القرآنية .

منهجه :

التزم ابن سيده - في معجمه هذا - منهج الخليل من ناحية التقليلات الصوتية ،
على الرغم من وجود مدارس أخرى معجمية ، اتخذت طرقاً أيسر من طريقة
الخليل .

وقد استفاد ابن سيده من كل التعديلات التي حدثت في طريقة الخليل بعد
وفاته ، والتي بلغت قمته في مختصر العين للزبيدي .

ولذلك قسم كتابه إلى حروف بدأها بحرف العين (كما بدأ الخليل) ثم قسم
هذه الحروف إلى أبواب هي :

- ١ - باب الثنائي المضاعف الصحيح ، مثل : عق ومقلوبها : ق ع ... إلخ .
- ٢ - باب الثلاثي الصحيح ، مثل : عهق ، هعع . . إلخ .
- ٣ - باب الثنائي المضاعف ، مثل : رصرص .
- ٤ - باب الثلاثي المعتل مثل : عال .
- ٥ - باب اللفيف ، مثل : عوى ، وعى . . إلخ .
- ٦ - باب الرباعي ، مثل : هبقع .
- ٧ - باب الخماسي ، مثل : الخزعبل .

وقد زاد ابن سيده على هذا التقسيم باباً ذكره في مواضع قليلة نادرة ودعاه
مرة بالسداسي ، وأخرى : الملحق بالسداسي ، ووضع فيه ألفاظاً أعجمية وأسماء
أصوات .

✂ وقد خالف - في ذلك - الصرفيين الذين يرون أنه لا توجد ألفاظ سداسية

الأصل ، وأن الألفاظ الأعجمية لا يصح وزنها ، لأن الوزن خاص بالعربية^(١) .

هدفه من تأليف هذا المعجم :

كان هدفه من تأليف معجمه هذا : « يختلف عن هدف الخليل والأزهري ، إذ رمى إلى جمع المشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل ، في كتاب واحد يغني عنها جميعها ، بالإضافة إلى دقة التعبير عن معانيها ، وتصحيح ما فيها من آراء نحوية خاطئة ، ولكنه اتفق مع الأزهري في ربطه اللغة بالقرآن والحديث »^(٢) .

مكانته بين المعاجم :

خطا (المحكم) بمنهج المعاجم خطوة إلى الأمام ، وهي محاولة تنظيم داخل المواد ولكنه فيما عدا ذلك كان متأخرا عن المعاجم المشرقية .

فقد سار في ترتيبه على نهج الخليل والزيدي وكان المشاركة قد وصلوا إلى ترتيب آخر أسهل هو ترتيب الجوهري .

واعتمد في مواده على الخليل ، وابن دريد والقال ، وبعض أصحاب الرسائل الأخرى ، وكان المشاركة قد وصلوا منذ القرن الرابع إلى الموسوعات الكبيرة مثل : التهذيب والمحيط ، بل نقد بعضهم مواد الخليل وابن دريد نقدا مرا ، مثل : الأزهري وابن فارس .

وإذن : فما قدمه ابن سيده لحركة المعاجم : هو محاولة

(١) انظر : مقدمة محققى المحكم : مصطفى السقا ود . حسين نصار ص ١٦ ط الحلبي سنة ١٩٥٨ م .

(٢) د . حسين نصار - المعجم العربى : ١ / ٣٧٢ .

تنظيم داخل المواد وحده / وتهذيب ترتيب الخليل ؛ باتباع
مختصر كتابه للزبيدي / واعتماده على بارع القالي الذي فُقد
ولم يَره كثير من المشاركة / واعتماده على علمى الصرف
والنحو فى كثير من أحكامه^(١) .

أهم المآخذ على مدرسة التقليبات الصوتية

أهم المآخذ التى أخذت على تلك المدرسة هو : صعوبة البحث فيها ، واستنفاد
الوقت الطويل قبل الوصول إلى المأرب منها . .

وهذا ما حدا بابن دريد : إلى أن يخالف المنهج الذى سارت عليه باتباعه
التقليبات الهجائية .

وهذا ما سوف نلقى عليه الضوء فى معجمه : جمهرة اللغة .



(١) المعجم العربى : ٣٩١/١ .

الفصل الثانی

مدرسة التقلیبات الهجائیة

جمهرة اللغة لابن درید

(٢٢٣ - ٣٢١ هـ)

یعد ابن درید صاحب اتجاه معجمی خاص ، فی دنیا الملاحم العربیة ، وهو ما یعرف باسم : التقلیبات الهجائیة .

وقبل أن نخوض فی غمار هذا الاتجاه - لتعرفَ علیه - ینبغی أن نتعرفَ علی ابن درید ، ومعجمه ، حتی نقف علی هذا الاتجاه الخاص ، وكيف كان ؟

ابن درید : من هو ؟^(٥) .

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن درید بن عتاهیه الأزدی ، من أزد عمان ، من قحطان .

ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين (٢٢٣ هـ) ونشأ بها وتعلم فیها .

أخذ عن أئى حاتم السجستانی ، والریاشی ، وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخی الأصمعی ، وأئى عثمان سعید بن هرون الأشنادانی ، وغيرهم .

ثم انتقل عن البصرة إلى عُمان مع عمّه الحُسین . عند ظهور الزنج ، وأقام

(٥) انظر فی ترجمة ابن درید : وفیات الأعیان لابن خلکان - بتحقیق محمد محیى الدین : ٣ /

٤٤٨ - ٤٥٣ ط مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨ ، معجم الأدياء لیاقوت الحموی : ١٨ /

١٢٧ - ١٤٣ نشر دار المأمون ، الأعلام للزركلی : ٦ / ٣١٠ ط ٢ .

بُعْمان اثنى عشرة سنة ، ثم عاد إلى البصرة وسكنها زمنا .

ثم خرج إلى نواحي فارس فأقام بها في عصر ابني ميكال ، الذين كانا يتوليان الحكم فيها ، وعمل لهما كتاب الجماهرة ، وقلدها ديوان فارس ، وكان لا يصدر كتاب من هذا الديوان إلا برأيه وتوقيعه ، وقد أناد من ابني ميكال أموالا عظيمة إلا أنه كان سخيا كريما لا ينسك درهما .

ثم انتقل من فارس إلى بغداد - بعد عزل ابني ميكال وانتقالهما إلى خراسان - فأنزله علي بن محمد بن الخوارى في جواره ، وأفضل عليه ، ثم اتصل بالمقتدر العباسي ، وأجرى عليه خمسون دينارا في كل شهر ، ولم تنزل جارية عليه إلى حين وفاته سنة ٣٢١ هـ .

مكانته العلمية :

كان واسع الرواية ، لم يُرَ أحفظ منه ، وكانت تُقرأ عليه دواوين العرب ، فيُسبق إلى إتمامها من حفظه ، ولذلك قيل : ابن دريد أشعر العلماء ، وأعلم الشعراء .

وقد أخبر عنه تلميذه أبو علي القالى : أنه على الرغم من مرضه الشديد في أواخر حياته - بعد التسعين من عمره - : فقد كان ثابت الذهن ، كامل العقل ، يُردّ فيما يُسأل عنه ردّا صحيحا ، بل وبأسرع من النَّفس !

ثم قال أبو علي القالى : وقال لى مرة - وقد سأله عن بيت شعر - لئن طفت شحمتا عيني لم تجد من يشفيك من العلم .

كتبه :

وله من الكتب والتصانيف المشهورة - غير الجماهرة - :

- ١ - كتاب الاشتقاق - مطبوع
- ٢ - كتاب صفة السرج واللجام - مطبوع
- ٣ - كتاب الخيل الكبير

- ٤ - كتاب الخيل الصغير
 - ٥ - كتاب ذخائر الحكمة - مخطوط
 - ٦ - كتاب الأنواء
 - ٧ - كتاب الملاحن - مطبوع
 - ٨ - كتاب السحاب والغيث - مطبوع
 - ٩ - كتاب المجتبى - مطبوع
 - ١٠ - كتاب المقتبس
 - ١١ - كتاب اللغات
 - ١٢ - كتاب رواد العرب^(١) .
 - ١٣ - كتاب السلاح
- وغيرها من الكتب .

جمهرة اللغة :

أما أهم هذه الكتب فهو كتابه : جمهرة اللغة الذى طبع فى ثلاث مجلدات ، وأضاف إليه المستشرق كرنكو مجلدا رابعا للفهارس ، خدم به الكتاب خدمة جليلة .

لِمَ سُمِّيَ الكتاب بهذا الاسم ؟

لأن صاحبه ملأه بجمهور كلام العرب المشهور المتداول ، وترك الكلام الوحشى المستنكر ، حيث قال^(٢) : « وإنما أعرفناه هذا الاسم : لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشى والمستنكر » .

(١) ذكر ذلك : د . عبد السميع محمد أحمد فى كتابه : المعاجم العربية - الكتاب الأول : ص ٥١ ، وقد ذكرت المراجع الأخرى السابقة الذكر أنه : زوار العرب .
 (٢) مقدمة جمهرة اللغة : ١ / ٤ ط حيدر آباد بالهند ١٣٤٤ هـ .

لِمَ أُلِّفَ هَذَا الْكِتَابُ ؟

أُلِّفَ هَذَا الْكِتَابُ لِمَّا لَاحَظَ صَعُوبَةُ الْمَنْهَجِ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ الْخَلِيلُ - فِي مَعْجَمِ الْعَيْنِ - وَاتَّبَاعَ مَدْرَسَتِهِ ، خَاصَّةً وَأَنَّ النَّاسَ فِي عَصْرِهِ قَدْ فَشَى فِيهِمُ الْجَهْلُ إِلَّا قَلَّةً مِنْهُمْ ، فَأَرَادَ أَنْ يَذَلِّلَ صَعُوبَةَ مَعْجَمِ الْعَيْنِ ، فَأَلَّفَ هَذَا الْمَعْجَمَ .

وَلِذَلِكَ نَجِدُهُ يَقُولُ فِي مُقَدِّمَتِهِ^(١) : « وَقَدْ أَلَّفَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرُّهَوْدِيُّ كِتَابَ الْعَيْنِ فَاتَّعَبَ مِنْ تَصْدِيقِ لُغَايَتِهِ ، وَعَنَى مِنْ سَمَاءٍ إِلَى نَهَائِهَا » .

ثُمَّ عَلَّلَ سَبَبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ^(٢) : « وَلَكِنَّهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَلَّفَ كِتَابًا مُشْكَلًا لِثَقُوبِ فَهْمِهِ ، وَذِكَاةِ فُطُتِهِ وَجِدَّةِ أَذْهَانِ أَهْلِ دَهْرِهِ » .

وَأَمَلَيْنَا هَذَا الْكِتَابَ وَالتَّقْصُصَ فِي النَّاسِ فَاشٍ ، وَالْعَجْزَ لَهُمْ شَامِلٌ إِلَّا خِصَائِصَ كَدَّرَارِيِّ النُّجُزِ فِي أَطْرَافِ الْأَقْصَى ، فَسَهَّلْنَا وَغَرَّهْ ، وَوُطَّأْنَا شَأْزَهُ^(٣) ، وَأَجْرَيْنَاهُ عَلَى تَأْلِيفِ الْحُرُوفِ الْمَعْجَمَةِ ، إِذْ كَانَتْ بِالْقُلُوبِ أَعْلَقَ ، وَفِي الْأَسْمَاعِ أَنْفَذَ ، وَكَانَ عِلْمُ الْعَامَةِ بِهَا كَعِلْمِ الْخَاصَّةِ » .

مَنْهَجُهُ فِي تَرْتِيبِ مَوَادِّهِ :

أَوَّلًا : اتَّفَقَ ابْنُ دَرِيدٍ مَعَ بَاقِي أَصْحَابِ الْمَعَالِمِ فِي : تَجْرِيدِ الْكَلِمَةِ مِنْ زَوَائِدِهَا ، وَرَدِّ الْمَقْلُوبِ إِلَى أَصْلِهِ وَرَدِّ الْمَحْذُوفِ إِلَى مَكَانِهِ .

ثَانِيًا : قَسَمَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْمَجْرُودَةَ حَسَبَ أَبْنِيَّتِهَا إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ بَابًا عَلَى التَّفْصِيلِ ، وَسِتَّةَ أَبْوَابٍ عَلَى الْإِجْمَالِ^(٤) ، وَبَيَّانَهَا كَالْتَالِي :

(١) مُقَدِّمَةُ الْجُمُھُورَةِ : ص ٣ .

(٢) : السَّابِقُ - نَفْسُهُ .

(٣) الشَّأْزُ هُوَ الْقَلِيطُ الشَّدِيدُ .

(٤) الْمَعَالِمُ الْعَرَبِيَّةُ - د . عَبْدِ السَّمِيعِ مُحَمَّدٍ : ص ٥٨ ، ٥٩ ، الْمَعَالِمُ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ الْإِبْتِكَارِ وَالتَّقْلِيدِ - د . عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَبْدِ اللَّهِ - د . أَحْمَدُ طه : ص ٧٩ .

أولاً - أبواب الثنائي :

- ١ - الثنائي الصحيح ، وهو ما ضعف فيه الحرف الثاني ، مثل أبب ، أزز .
- ٢ - الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر ، وهو ما ضعف فيه الحرفان مثل :
بتبت ، زلزل .
- ٣ - الثنائي المعتل وما تشعب منه ، وذلك ببناء الحرف الصحيح مع أحد حروف
العلة (الهمزة والواو والياء) مثل : باء ، نوى .

ثانياً - أبواب الثلاثي :

- ١ - الثلاثي الصحيح وما تشعب منه ، مثل : ب ت ج .
- ٢ - الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلاً في أى موضع ، مثل : ب ت ت .
- ٣ - الثلاثي عين الفعل منه أحد حروف اللين ، مثل : باب .
- ٤ - الثلاثي المعتل وهو ما كان آخره حرفاً من حروف العلة ، مثل ب ت و ،
ب ت ا ، ب ت ي .
- ٥ - باب النوادر في الهمز وهو مما ألحق بأبواب الثلاثي ، مثل أنت ، كلاً .
- ٦ - باب اللفيف في الهمز ، مثل : وزأ الإناء : ملأه ، ومنه ما جاء من المقصور
مهموزاً ، مثل : الرشأ ، والقرأ .

ثالثاً - أبواب الرباعي :

- ١ - الرباعي الصحيح مثل : جَعَتَب (حرص) .
- ٢ - الرباعي جاء فيه حرفان مثلاً مثل : دَرَدَق .
- ٣ - الرباعي جاء على أوزان : فَعَلَّ كَعَكَبْ ، أو فَعِلَّ كَسَجِلَّ أو فُعِلَّ كَعُتِلَّ .
- ٤ - ما يلحق بالرباعي مما جاء على أوزان أخرى ، مثل : كوكب وَيُطَطَّر
وَضَبْطَر .



رابعاً : أبواب الخماسى :

وهو الملحق بالرابعى بحروف زائدة ، ولذلك ابتدأه بقوله^(١) : (من الزوائد) ، ولم ينبه على أنه من باب الخماسى إلا فى نهاية الباب حيث قال : هذا آخر أبنية الخماسى^(٢) .

خامساً : أبواب السداسى :

وهو الملحق بالخماسى بحروف زائدة ، وإن كان لم يصرح بهذه التسمية وإنما عبر عنها بقوله : « هذه أبواب ألحقت بالخماسى بالزوائد التى فيها ، وإن كان الأصل غير ذلك »^(٣) ثم قال^(٤) : « (باب ما جاء على مُفَعَّلِل ومُفَعَّلِل) : (المسحكنك) الأسود » .

سادساً : أبواب اللفيف :

وقد قال عنها :^(٥) « وإنما سميناه لفيفا ؛ لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض » أى : ليست كما يذهب الصرفيون من أن اللفيف ما كان فيه حرفاً علة مجتمعان أو متفرقان ، ولذلك قال بعدها : (باب ما جاء على فِعِيلَى) .

(خِطْبَى) وهى المرأة التى يخطبها الرجل
(حَجَّيْزَى) (خَلِيفَى) (قَتَيْبَى)
وهذا كله ليس من اللفيف الصرفى المتعارف عليه .

ثم أضاف إلى ما سبق أبواباً متفرقة من النوادر :

جمع فيها نوادر متنوعة ، بدأها بقوله : (باب من النوادر)^(٥) :

(١) الجمهرة : ٣ / ٣٦٩ .

(٢) السابق : ص ٣٩٩ .

(٣) المرجع السابق : نفسه .

(٤) السابق : ص ٤٠٦ .

(٥) السابق : ١ / ٤٤٩ .

قال أبو بكر : تقول العرب : يفسُقُون ويفسُقُون ويعرُشُون ويعرُشُون ويحسُدُون ويحسُدُون الخ .

وبعد ذلك يأتي بباب آخر من النوارد - هو : (باب من نوارد ما جاء في القوس وصفاتها عن ألى عبيدة معمر بن المثنى)^(١) .

ثم (باب ما جاء من النوارد في صفة النصال)^(٢) .

ثم (باب من النوارد في صفة النعل)^(٣) .

ثم (باب آخر من النوارد)^(٤) . . إلى آخر ذلك من النوارد التى ليس لها ضابط معين .

ثالثا : رتب ابن دريد المواد الواقعة فى كل باب بحسب ترتيب حروف الهجاء ، فبدأ بحرف الهمزة ، ثم بالباء ، ثم بالتاء ، وهكذا إلى حرف الياء ، مراعىا أولها وثانيها وثالثها .

ففى حرف العين من الثلاثى الصحيح يقول - مثلا - (بباب العين والقاف مع باقى الحروف)^(٥) ، ثم يأتي بالمواد داخل الباب ، مرتبة حسب الحرف الأول والثانى والثالث ، حيث يأتي بمواد : ع ق ك ثم ع ق ل ، ثم ع ق م ثم ع ق ن ، ع ق و ، ع ق هـ ، ع ق ى .

رابعا : قَلَّب كل مادة على وجوهها المختلفة ، وما كان منها مهملا نبه عليه ، وما كان مستعملا فسر معناه .

ففى هذا الباب الذى أوردت مواده تجده يقول : (ع ق ك) : مهمل ، ثم يأتي بمادة (ع ق ل) فيقلبها على جميع وجوهها ، فتأتى منها المواد المستعملة

(١) الجمهرة : ١ / ٤٥٦ .

(٢) السابق : ص ٤٥٨ .

(٣) السابق : ص ٤٥٩ .

(٤) السابق : ص ١٢٨ .

الآتي ذكرها : العقل ، والعلق ، والقلع والقعل واللقع واللقع . ثم يأتي بمادة (ع
ق م) فيقلبها على جميع وجوهها ويفسر المستعمل من هذه الوجوه ، وهي :
عقم - عمق - قمع - معق - مقع - قعم .

نموذج من الكتاب :

من (حرف الغين في الثلاثي الصحيح)

(باب الغين والقاف)

(مع باقي الحروف في الثلاثي الصحيح)^(١)

(غ ق ك) مهمل .

(غ ق ل) :

أغلق الباب يغلقه إغلاقا وغلق الرهن غلوقا ، وهو أن
يقي عند المرهون عنده بما عليه لا يفك .

وفي الحديث : (لا يغلق الرهن) .

ومغلاق الباب وغلقه : الحديد التي يغلق بها .

وغلاق : اسم ، والغلق نبت يذبح به - وأديم مغلوق :

إذا كان مذبوحا بالغلق ، وقد سمّت العرب : غلاقا ورجل

غلق : ساء الخلق ، وقوم مغاليق : تغلق القداح على

أيديهم : أي يفوزون بها ، قال مهلهل :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَلِينًا وَخَصِيمًا أَلْدُّ ذَا مِغْلَاقٍ

ويروى : معلاق .

(غ ق م)

(١) الجمهرة : ١/١٤٨ ، ١٤٩ .

الغمق : ركوب الندى الأرض ، غمق يومنا يغمق غمقًا
فهو غَمِق : إذا كثر نداءه .

(غ ق ن)

نقق الغراب ينقق ويتقق تغيقا ، وهو ناقق : إذا صاح
وهو النقيق ، والنقاق .

(غ ق و) مهمل .

(غ ق هـ) :

الغيق : الطويل من الإبل وغيرها ، ويقال : غيق -
بالعين والغين - في الإبل خاصة ، وفي غيرها بالغين
المعجمة . وغيق الظلام عينه : إذا أضعف بصره ، وغيهقت
عينه : إذا ضعفت .

(غ ق ي) :

غيقة : موضع . وتغيقت عينه إذا اسمدرت وأظلمت .

والغاق : زعموا طائر .

ونلاحظ من هذا النموذج :

١ - أن ابن دريد كان ينبه على المادة للهملة بأكملها ، أما الأخرى : فإنه يعرف
المستعمل منها ، والمهمل يدعه ولا ينبه عليه .

٢ - أنه استشهد على شرحه بما تيسر له من حديث رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) ومن أشعار العرب .

٣ - أن المادة تشتمل على الحرف ثم التالى له ثم التالين لهما ، دون الرجوع إلى
الحروف السابقة عليهما ، والتي أتى بها في المواد الأولى .



الماخذ على كتاب الجمهرة ونظامه

١ - انفراده بأشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، مما دعا البعض إلى اتهمه بالوضع والكذب ، بالإضافة إلى أن هذا مخالف لمنهجه الذي رسمه لنفسه ؛ ألا وهو ذكر الجمهور الشائع من كلام العرب ، وليس الخفى الذى لا يكاد أحد يعرفه سواه .

٢ - تصحيف كثير من الألفاظ في معجمه مما جعل الكثيرين يعيبونه به .

٣ - تفسيره كثيرا من الألفاظ بكلمة معروف .

٤ - وضوح الاضطراب في تبويب معجمه ، إذ إنه راعى نظام الابنية في القسط الأكبر من كتابه ، ثم رأى بعض الرسائل اللغوية التى استحوذت على إعجابه ؛ فألحقها بمعجمه دون أى ترتيب يذكر .

كما أنه لم يراع نظام الابنية في الكتاب مراعاة صارمة ودقيقة^(١) ؛ إذ إنه كثيرا ما خرج عليه ، وسار على أسس أخرى ، فتشتت الابنية والألفاظ .

الجديد الذى أتى به صاحب معجم الجمهرة

أنه طرح الترتيب الذى يقوم على أساس ترتيب مخارج الحروف ولجأ إلى الترتيب السهل المألوف ، وهو الترتيب الألفبائى .

وبذلك : يكون قد خطا بترتيب المعاجم العربية خطوة إلى الأمام^(٢) .

تلاميذ مدرسة الجمهرة (التقلييات الهجائية)

نظرا لكثرة الاضطراب الموجود في معجم الجمهرة : فإن أحدا لم يفكر في السير على طريقته ، لكن قامت دراسات حول كتابه ، يمكن أن تقسم إلى أربعة أقسام :

(١) انظر : المعجم العربى : ٢ / ٤٣٠ - ٤٣٣ .

(٢) انظر : المعجم العربى : ٢ / ٤٣٣ ، البحث اللغوى عند العرب : ص ١٨٣ .

الأول : ذكر فائت الجمهرة ، وقد ألف فيه : أبر عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) .

الثاني : اختصارات للجمهرة ، ومنها :

١ - جوهرة الجمهرة : للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) .

٢ - مختصر الجمهرة : لشرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين الأنصارى (ت ٦٣٠ هـ) .

الثالث : نظم للجمهرة : وقد قام به : يحيى بن معط بن عبد النور المغربي (ت ٦٢٨ هـ) .

الرابع : شرح شواهد الجمهرة : وقد قام به : أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـ) في كتابه : نثر شواهد الجمهرة ، ويقع في ثلاثة أجزاء .



الفصل الثالث

مدرسة القافية

بلغت المعاجم فى القرن الرابع الهجرى ذروتها ؛ من حيث كمية الألفاظ ومعانيها التى ملئت بها ، ولكن بقى فيها عيب أساسى لم تتخلص منه ألا وهو صعوبة المطالعة فيها ، وصعوبة الوصول إلى المراد منها .

وهذا ما دفع المعجميين اللاحقين إلى محاولة التخفيف عن مرتادى المعاجم ، وذلك باتباع طريقتين :

الأولى : تبسيط طريقة حشد الألفاظ داخل المعجم ؛ ليسهل الوصول إلى كل لفظ فى مكانه .

والثانية : تخليص المعاجم من الألفاظ الكثيرة التى يُشك فى صحتها .

وكان على رأس هؤلاء المعجميين القدين نهجوا هذا النهج : الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد - ت فى حدود : ٤٠٠ هـ) فى معجمه : تاج اللغة وصحاح التربية .

فمن هو الجوهري ؟^(٥) .

هو الإمام اللغوى : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، من فاراب ببلاد الترك ، وكان من أعاجيب الزمان ذكاء ، وفطنة ، وعلمًا ، كما كان إمامًا فى علم اللغة والأدب ، وخطُّه يضرب به المثل فى الجودة .

ولم يكن يُحب الاستقرار فى مكان « بل كان يُؤثر السفر على الحضر ويطوف

(٥) انظر فى هذا . معجم الأدباء : ٦ / ١٥١ - ١٦٥ ، إنباه السرواه ١ / ١٩٤ - ١٩٨ ، بغية الوعاة : ١ / ٤٤٦ - ٤٤٨ .

الآفاق ، ولذلك : دخل العراق ، وقرأ العربية على شَيْخِي زمانه : أبى على الفارسي وأبى سعيد السيرافي ، ثم سافر إلى الحجاز ، وشافه العرب العاربة في ديار ربيعة ومضر .

وحين حقق مراده من التجوال والتعلم ، عاد إلى خراسان ، ثم سافر منها إلى نيسابور ، فأقام بها يدرّس للناس ويؤلف ويعلم الخط الجميل ، حتى توفاه الله في زمن لم يستطع المؤرخون تحديده ، ولذلك قال ياقوت :^(١) « ومن العجيب أني بحثت عن مولده ووفاته بحثا شافيا ، وسألت عنهما الواردين من نيسابور ، فلم أجد مُخْبِرًا عن ذلك ! » ثم قال : إنه وجد نسخةً للصحاح بخط الجوهري كتبها سنة ست وتسعين وثلاثمائة^(٢) ، وهذا ما يُرجح أنه مات بعد هذا التاريخ أى في حدود الأربعمئة كما ذهب البعض^(٣) .

تصانيفه :

صنف كتابا في العروض ، ومقدمة في النحو ، والصحاح في اللغة ، وهو أشهر وأفضل كتبه ، وكان سببا في إصابته بلوثة عقلية ، حيث قيل^(٤) : « إنه لما صنفه سَمِعَ عليه إلى باب الضاد المعجمة ، وعرض له وَسْوَسة ، فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور ، فصعد سطحه ، فقال : أيها الناس : إنني قد عملت في الدنيا شيئا لم أُسَبِّق إليه ، فسأعمل للآخرة أمرا لم أُسَبِّق إليه ، وضم إلى جنبيه مِصْرَاعِي باب ، وتأبطهما بجبل وصعد مكانا وزعم أنه يطير ، فوقع فمات » .



(١) معجم الأدباء : ٦ / ١٥٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٩ .

(٣) انظر : بغية الوعاة : ١ / ٤٤٧ .

(٤) السابق نفسه .

معجم الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)

ضبط اسمه :

« اختلف العلماء في ضبط الصحاح : أهو بكسر الصاد أم بالفتح ؟ ولم يرد عن المؤلف ضبطه ، وهو صالح أن ينطق بالكسر أو الفتح ، ولا لوم على الناطق بأحدهما »^(١) .

غرض الجوهري من تأليف الصحاح :

أفصح الجوهري عن غرضه من تأليف كتابه ، وذلك حين قال فى تقديمه له :^(٢) « أما بعد : فانى قد أودعت هذا الكتاب :
(١) ما صح عندى من هذه اللغة التى شرف الله منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها .
(٢) على ترتيب لم أسبق إليه وتهذب لم أغلب عليه » .

منهج الجوهري فى تأليف وترتيب كتابه

استفاد الجوهري من أخطاء سابقه ، ومن النقد الذى وُجِّه إلى معاجهم ، ولذلك حاول أن يسلك طريقا جديدا لم يُسبق إليه . ويتلخص ذلك فيما يأتى :
أولا : أنه خلَّص كتابه مما يُشكُّ فيه من الألفاظ ، واعتمد فى ذلك على مشافهته للأعراب .

ثانيا : رتب كتابه ترتيبا جديدا ، كما يلى :

(١) أحمد عبد الغفور عطار - الصحاح ومعارس المعجمات العربية : ص ١٤٣ - طبع دار الكتاب

العربى بمصر .

(٢) الصحاح - بتحقيق عبد الغفور عطار - ١/ ٣٣ .

١ - كان - كسابقه - مجرد الكلمات من زوائدها ، ويرد الحرف المحذوف إلى مكانه ، والحرف المقلوب إلى أصله .

٢ - قسم هذه الألفاظ إلى ثمانية وعشرين بابا - بعدد حروف الهجاء - وذلك حسب أواخر الألفاظ ، فكل ما ينتهى بحرف الهمزة : يضعه فى باب الألف المهموزة ، وكل ما ينتهى بحرف الباء : يضعه فى باب الباء ، وكل ما ينتهى بحرف التاء : يضعه فى باب التاء ، وهكذا إلى باب الواو ، والياء الذين جمعهما معا فى باب واحد .

٣ - قسم هذه الأبواب إلى ثمانية وعشرين فصلا - بعدد حروف الهجاء كذلك - حسب أوائل الألفاظ ، فكل ما يبدأ بحرف الهمزة : يوضع فى فصل الهمزة ، وكل ما يبدأ بحرف الباء : يوضع فى حرف الباء ، وهكذا إلى فصل الياء .

٤ - رتب الألفاظ داخل كل فصل : حسب الحرف الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع ، فمثلا فى باب الباء فصل التاء : نجده قد رتب الألفاظ داخل هذا الفصل على النحو التالى : ثأب - ثرب - ثرقب - ثعب - ثعلب - ثغب - ثقب - ثلب - ثوب . ونلاحظ عليه : أنه لم يذكر الألفاظ المهملة ، ولم ينبه عليها ، وإنما ذكر المستعمل فقط .

٥ - قدم فصول الواو - فى الأبواب كلها - على فصول الاء .

وقد صان هذا النظام معجمله من الخلط والاضطراب ، ووسمه بطابع الدقة العلمية المنهجية فى التأليف المعجمى^(١) .

كما اهتمدى إلى هذه الطريقة بسبب « علمه الواسع بالصرف واشتغاله به ، فهو قد رأى أن ميزان الكلمة : الفاء والعين واللام ، والتغير يلحق ما قبل لام الكلمة ... أما لام الكلمة فتأبته لا تتغير مهما اختلفت صور

(١) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١٥٦ .

الكلمة ألا في حالات قليلة^(١) .

٦ - التزم طريقة جديدة لضبط الكلمة بالحركات لم يتبعها أحد من قبله ، وتتلخص فيما يلي^(٢) :

أ - إذا قال - عقب الاسم - : بالكسر أو الفتح أو الضم : فمعنى ذلك أنه يضبط الحرف الأول منه .

ب - وإذا قال : بالتحريك : فالضبط للحرفين الأولين من الاسم .

ج - وإذا قال : بالتشديد في مثل حَلَّاب : فمعنى ذلك أن اللام هي المشددة ، ضرورة .

د - وإذا كان في الكلمة لغات : أشار إليها . وكرر الكلمة بعدد اللغات التي وردت فيها .

هـ - وإذا قال عقب الفعل الماضي أو المضارع : بالكسر أو الضم أو الفتح فالمقصود من ذلك : عين الفعل .

نموذج من الصحاح :

(من باب الباء فصل الهاء)

يذكر مادة : هب ، ثم هذب التي يقول فيها :^(٣) .

الهْدْبَة : الحملة وضم الدال لغة فيه . وهُدْبُ الثوب وهُدَابُ الثوب : ما على أطرافه . وِدْمَقْسُ مُهْدَّب ، أى ذو هُدَاب . وهُدْبُ العين : ما نبت من الشعر على أشفارها والأهداب : الرجل الكثير أشفار العين .

والهَدْب بالتحريك : كل ورق ليس له عرض كورق

(١) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١٥٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٧ .

(٣) الصحاح - بتحقيق عبد الغفور عطار : ١ / ٢٣٦ - ٢٤٠ .

الآثِل والسَّرو والأرْطى والطرفاء ، وكذلك الهُدَّاب .

وقال الشاعر :

فِي كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتُرُهُ مِنْ عُلِّ الشَّقَّانِ هُدَّابِ الْفَنَنِ

وهُدَّاب النخل : سَعفه . وهُدَّب الناقة يَهْدُبُها هُدْبًا :

احتلبها ، وهُدَّب الثمرة : أَى اجتباها . والهَيْدَبُ : العَيْى

الثقيل ، وهيدب السحاب : ما تَهْدَّب منه إِذا أَراد الودْق

كَأَنه خِيوط . قال أوس بن حجر :

وَإِنْ مُسِفٌ قُوَيْقُ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

وهَيْدَبُ - بفتح الدال - وهْدَبًا - وهْدَبَاة : بِقَل .

وقال أبو زيد : الهَنْدِيبَا بكسر الدال : يمد ويقصر .

ثم يذكر بعد ذلك المواد الآتية :

هذب - هرب - هرجب - هردب - هزب - هضب - هلب - هنب -

هيب .

ونلاحظ عليه - من خلال هذه المادة - أنه :

١ - اختصر الشرح اختصاراً كبيراً .

٢ - قلل من الشواهد .

٣ - قلل من ذكر اللغويين .

٤ - سار على منهجه فى الضبط .

٥ - سار على منهجه فى ترتيب المواد داخل الفصل .

ما أخذ على الصحاح :

١ - إغفاله كثيراً من المواد التى تعد من صحاح العربية ، ولذلك نقده

الفيروزبادى فى مقدمته للقاموس المحيط حيث قال^(١) : « فاته ثلثا اللغة أو أكثر ، إما باهمال المادة ، أو جرك المعانى الغريبة النادرة » .

وقد حرص الفيروزبادى على أن ينبه فى قاموسه على المواد التى أهملها الجوهري ، وذلك بكتابتها باللون الأحمر فلما طبع الكتاب وتعذر ذلك اللون وضع عليها خط أفقى .

٢ - امتلأ الكتاب بالتصحيفات التى ليست من النساخ ؛ وإنما هى من المؤلف !

وقد نقده فى هذا : الكثير من اللغويين وعلى رأسهم الفيروزبادى^(٢) .

٣ - هذا بالإضافة إلى هئات أخر أخذت عليه : « من خطأ فى وضع بعض المواد ، وخطب بين المعتل والمهموز ، وخطأ فى التفسير أو التعليل النحوى أو الصرفى ، وخلل فى الشواهد وما إلى ذلك »^(٣) .

دراسات حول الصحاح :

نظرا لما كان للصحاح من شهرة ذاعت وانتشرت فى الآفاق : فقد اهتم به العلماء والباحثون ، وعكفوا عليه : يدرسونه ، وينقدونه ، ويعلقون عليه ، ويكملون ناقصه ، أو : يختصرونه ، وينظمون مواده ، ويشرحون شواهد ، ويترجمونه إلى الفارسية والتركية ، وقد أثمر هذا كتبا كثيرة تعادل ما دار حول العين كثرة ، أذكر من أهمها :

ولا مجال الآن لذكر هذه الكتب الكثيرة الغفيرة^(٤) .

المعاجم التى حذت حذو الصحاح

هناك معاجم كثيرة حذت حذو الصحاح ، وسارت على طريقته .

(١) القاموس المحيط : ١ / ٣ نشر المكتبة التجلوية الكبرى بمصر .

(٢) المرجع السابق : ص ٤ .

(٣) المعجم العربى : ٢ / ٥٠٣ ، وانظر : الصحاح ومدارس المعجمات ص ١٦٨ - ١٨١ .

(٤) إن شئت تفصيلا : فانظر : المرجعين السابقين .

وأشهرها :

- ١ - العباب - للصغاني (٥٧٧ - ٦٥٠ هـ)
- ٢ - لسان العرب - لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ)
- ٣ - القاموس المحيط - للفيروزبادي (٧٢٩ - ٨١٦ أو ٨١٧ هـ)
- ٤ - تاج العروس (شرح للقاموس المحيط) للزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ)

وقد سارت هذه المعجمات وراء الصحاح في الترتيب والتقسيم ، كما اشتركت معه في : إفراد باب واحد للكلمات التي آخرها الواو والياء ، ثم في تقديم الواو على الهاء في الفصول ، حتى يمكن فصل اللفيف الذي وسطه الواو عن اللفيف الذي وسطه الياء .^(١)

كما امتاز كل معجم من معاجم هذه المدرسة بميزة تفرد بها عن الآخرين . فالصحاح : التزم الصحيح من الألفاظ (من وجهة نظره) وتغلبت عليه الصبغة النحوية والصرفية .

والعُباب : تغلبت عليه الصبغة الأدبية ، والعناية بالشواهد الشعرية . والقاموس المحيط : التزم الاختصار والاستقصاء وتغلبت عليه الصبغة الطبية ، والإكثار من الأعلام وخاصة أعلام المحدثين ، والأماكن والمصطلحات . واللسان : التزم الإسهاب والإطناب ، مع اقتصاره على المواد اللغوية . وتاج العروس : التزم أيضا الإسهاب والإطناب إلا إنه لم يقتصر على المواد اللغوية بل زاد عليها ما في القاموس وغيره ، ولذلك فإنه يعد خليطا من دوائر المعارف والمعجمات^(١) .

(١) انظر : المعجم العربي : ٢ / ٦٨٦ .

ما يؤخذ على هذه المدرسة عموماً :

١ - أنها - على الرغم مما كان في منهجها من سهولة أكثر مما كان في المدرستين السابقتين - إلا أنها احتفظت بشيء من الصعوبة التي جعلتهم - أو أفراداً منهم - يضطربون في ترتيب بعض المواد .

وذلك لأن النظر إلى آخر الكلمة ، ثم إلى أولها ، ثم إلى وسطها : فيه تشتيت للذهن ، والأيسر منه : الترتيب من وجه واحد حين يُنظر إلى الأول ثم الثاني ثم الثالث .

ولذلك كان ترتيب هذه المدرسة سهلاً في الثلاثي أما في غيره - من الرباعي أو الخماسي - فقد كان فيه عسر .

٢ - أن طريقتها توقع في الالتباس أحياناً ، وخاصة إذا كان الحرف الأخير حرف علة لا يُعرف أصله ، وهل هو واوى أو يائى ، وقد كان ذلك سبباً في جمعها للواوى واليائى معا في باب واحد ، ولذلك تحتاج - هذه المدرسة - ممن يروّدها إلى أن يكون ضليعاً في علم الصرف^(١) .

وهذا ما حدا بأصحاب المدرسة التالية ، وهى مدرسة الترتيب الألفبائى إلى أن تنأى عن ترتيب القافية إلى ترتيبها الجديد .



(١) انظر : المعجم العربى : ٢ / ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

الفصل الرابع

مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائي

وهي المدرسة التي رتب موادها على حسب ترتيب الحروف الهجائية ،
الألفبائية ، التي رتبها نصر بن عاصم ، وهي : (ا - ب - ت - ث - ج -
ح - خ - د - ذ إلى : ي) مع مراعاة الحرف الأول والثاني والثالث والرابع .
وكان (مجمل اللغة لابن فارس - ت ٣٩٥ هـ) أول من أرسى قواعدها ،
وأسس أسسها من وجهة نظري ، لأن هناك خلافا حول مؤسس هذه
المدرسة ، وسوف يتبين لنا الحق - قى هذا - واضحا جليا ، عندما ندرس
معا : معجم (مجمل اللغة لابن فارس) .

مجمل اللغة لابن فارس^(٥)
(٣٠٦ أو ٣٠٨ - ٣٩٥ هـ)
أولا : ابن فارس

من هو ؟

هو : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب .

ميلاده :

ولد سنة ست و قيل سنة ثمان وثلاثمائة ، أى في نهاية العقد الأول من القرن
الرابع الهجري^(١) .

(٥) عن بحث المؤلف ، تحت عنوان : مجمل اللغة لابن فارس ، ومكانته بين معاجم اللغة العربية - نشر
في مجلة كلية اللغة العربية بالمتوفية : - العدد السادس ، سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - بتصرف .

(١) انظر : مقدمة محقق المجمل : زهير عبد المحسن سلطان - طبع ونشر : مؤسسة الرسالة بيروت :
ص ١٢ .

وكانت ولادته بقرية كرسف جياناتاز ، وهي قرية من رستاق الزهراء^(١) .

طلبه للعلم :

درس في قزوین علی كبار علمائها ثم في أصبهان^(٢) ، ثم في رَنْجَان^(٣) ، ثم في مَيَانَج^(٤) ، ثم في بغداد^(٥) .

وقد استفاد من هذه الرحلات العلمية علماً غزيراً في اللغة ، وعلوم القرآن ، والحديث ، وذاعت شهرته أثناء إقامته بهمدان^(٦) - في كل مكان مما دعا مجد الدولة : أبا طالب بن فخر الدولة على بن ركن الدولة الحسن بن بُوَيّه الديلمي - صاحب الرّی - إلى أن يدعوّه ليقراً عليه ، فذهب إلى هناك ، وأقام في الری بقية حياته^(٧) .

مكانته العلمية :

كان ابن فارس : من أئمة أهل اللغة في وقته ، محتجاً به في جميع الجهات غير منازع ، حيث كان صاحب مدرسة جديدة في المعاجم ، أما في فقه اللغة : فيكفيه كتابه : (الصاحبي) الذي تناول فيه مختلف مسائل فقه اللغة العربية^(٨) .

(١) إنباه الرواه : ١ / ٩٤ .

(٢) مدينة عظيمة مشهورة ببلاد فارس - معجم البلدان : ١ / ٢٦٩ - ٢٧٥ - دار صادر بيروت .

(٣) بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها ، وهي قرية من قزوین - معجم البلدان : ٣ / ١٥٢ .

(٤) موضع بالشام - معجم البلدان : ٨ / ٢١٨ .

(٥) انظر : إنباه الرواه : ١ / ٩٥ .

(٦) من أكبر بلاد فارس ، وصيّت لأصبهان - معجم البلدان : ٨ / ٤٧١ .

(٧) انظر : إنباه الرواه : ١ / ٩٥ ، مقدمة محقق الجمل : ص ١٢ .

(٨) انظر : نزهة الألباء : ص ٣٢١ .

ولم يقتصر علمه على اللغة بل إنه كان كاتباً وشاعراً ومحدثاً وفقهياً^(١) .

آثاره وكتبه :

أما آثاره التي خلفها ، وكتبه التي صنفها : فهي كثيرة وغفيرة ومتنوعة ، تدل على علم غزير وذكاء نادر ، وقد أحصاها المحصون قبلت منها : ستة وستين كتاباً ما بين اللغة والتفسير والسيرة النبوية^(٢) .

وفاته :

ذكرت بعض المصادر : أنه توفي سنة ٣٩٠ هـ^(٣) . وذكر بعضها الآخر أنه توفي سنة ٣٩٥ هـ^(٤) وهو أرجح الآراء لأن ياقوت الحموي ذكر في معجم الأدباء^(٥) أنه وجد بخط ابن فارس على كتابه (الفصيح) : أنه كتبه سنة ٣٩١ هـ ، وهذا يعني أنه كان حياً في هذا العام .

وقد توفي بالرى^(٦) ، ودفن بالمحمدية^(٧) مقابل مشهد القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني^(٨) .

(١) انظر : معجم الأدباء ٤ / ٨٤ ، ومقدمة محقق الجمل ص ٢٠ - ٢٢ .

(٢) انظر : المرجعين السابقين .

(٣) انظر : وفيات الأعيان : ١ / ١١٩ .

(٤) انظر : معجم الأدباء : ٤ / ٦٣ .

(٥) المرجع السابق : ص ٨٢ .

(٦) معجم الأدباء : ص ٩٣ ، إنباه الرواة : ١ / ٩٥ .

(٧) انظر وفيات الأعيان : ١ / ١١٩ .

(٨) انظر معجم الأدباء : ٤ / ٩٣ ، إنباه الرواة : ١ / ٩٥ .

ثانيا : مجمل اللغة

تسميته :

نص ابن فارس على هذه التسمية لكتابه في مقدمته ، حيث قال :^(١) رسميته مجمل اللغة : « لأنى أجملت الكلام فيه إجمالا ، ولم أكثره بالشواهد والتصاريف ، إرادة الإيجاز » .

سبب تأليفه :

نستطيع أن نستشفه - معا - من خلال قوله - في تقديمه لمجمل اللغة -^(٢) : « إني لما شاهدت كتاب العين الذى صنفه الخليل بن أحمد^(٣) ، ووعورة ألفاظه ، وشدة الوصول إلى استخراج أبوابه ، وقصده إلى ما كان يطلع عليه أهل زمانه ، الذين جُبلوا على المعرفة ، ولم يتصعب وعورة الالفاظ .

ورأيت كتاب الجوهرة الذى صنفه أبو بكر بن دريد :^(٤) وقد وفى بما جمعه الخليل ، وزاد عليه ، لأنه قصد إلى تكثير الألفاظ ، وأراد إظهار قدرته ، وأن يُعلم الناظرين فى كتابه : أنه قد ظفر بما سقط عن المتقدمين ، وإن كان قصب السبق مُسَلِّما لهم . لأن بناء المتأخر على ما قدموه .

وبعد : فإنك لما أعلمتنى رغبتك فى الادب ، ومحبتك لعرفان كلام العرب ، وأنتك شأمت الأصول الكبار ؛^(٥) فَرَأَعَكَ^(٦) ما أبصرته : من بُعْد

(١) مجمل اللغة - بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان : ١ / ٧٥ .

(٢) المرجع السابق : نفسه .

(٣) هو : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى من أئمة اللغة والنحو ، صاحب معجم العين - توفى سنة ١٧٥هـ - إنباه الرواه : ١ / ٣٤١ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي - من علماء اللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها - ت ٣٢١هـ - إنباه الرواه : ٣ / ٩٢ .

(٥) أى : نظرت فى أصول المعاجم الكبار كالعين للخليل ، والجوهرة لابن دريد .

(٦) أى : أفزعك .

تَنَاولَهَا ، وَكَثْرَةُ أَبْوَابِهَا ، رَتَشَعِبُ سُبُلُهَا ،^(١) وَخَشِيتُ أَنْ يُلْفِتَكَ^(٢) ذَلِكَ عَنْ
مِرَادِكَ ، وَسَأَلْتُ جَمْعَ كِتَابٍ فِي ذَلِكَ ، يَذَلُّ صَعْبَهُ وَيَسْهَلُ عَلَيْكَ وَعَرَهُ :
أَنْشَأْتُ كِتَابِي هَذَا : بِمَخْتَصَرٍ مِنَ الْكَلَامِ قَرِيبٍ ، يَقِلُّ لَفْظُهُ ، وَتَكْثُرُ فَوَائِدُهُ ،
وَيَبْلُغُ بِكَ طَرَفًا مِمَّا أَنْتَ مُلْتَمِسُهُ ، وَاسْمِيته : مَجْمَلُ اللُّغَةِ .

وَيَبْدُو مِنْ هَذَا النَّصِّ ، ثُمَّ مِنْ قَوْلِهِ فِي خَاتَمَةِ كِتَابِهِ :^(٣)

« وَهَذَا آخِرُ مَجْمَلِ اللُّغَةِ ، فَاحْفَظْهُ وَتَدَبَّرْ تَرْتِيبَ أَبْوَابِهِ . رَاعِلِمُ أُنَى تَوْخِيتِ
الْإِخْتِصَارِ كَمَا أُرَدْتُ ، وَآثَرْتُ الْإِيجَازَ كَمَا سَأَلْتُ » .

أَقُولُ : يَبْدُو مِنْ هَذَيْنِ النَّصِّينِ : أَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ أَنْ يُؤَلِّفَ لَهُ مَعْجَمًا لُغَوِيًّا
جَامِعًا ، وَمَخْتَصَرًا ، وَسَهْلًا التَّنَاولَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى مَا سَأَلَ وَلَكِنْ هَذَا الشَّخْصُ
مَا زَالَ مَجْهُولًا إِلَى الْآنَ^(٤) .

مصادر الكتاب المسموعة :

ذَكَرَهَا ابْنُ فَارَسٍ فِي بَدَايَةِ كِتَابِ «الْأَلْفِ مِنْ مَعْجَمِهِ حَيْثُ قَالَ^(٥) : إِنْهُمْ :
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَصْرِيُّ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ ابْنِ حَمْزَةَ الْكِسَائِيُّ
(ت ٢٨٠ هـ) وَأَبُو زَكَرِيَاءَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الْعَبْسِيُّ ، (الْفَرَاءُ - ت ٢٠٧ هـ)
وَأَبُو سَعِيدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ قَرِيبٍ الْأَصْمَعِيُّ (تَوَفَّى ٢١٢ هـ) رَأَبُو عُبَيْدَةَ :
مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ (ت ٢١٠ هـ) وَأَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَمْرِيُّ (ت
٢١٥ هـ) وَأَبُو زَيْدٍ : سَعِيدُ بْنُ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيُّ (ت ٢١٤ هـ) وَأَبُو عَمْرٍو :
إِسْحَاقُ بْنُ مَرَارٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت ٢١٠ هـ) وَأَبُو عُبَيْدٍ : الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ الْبَغْدَادِيُّ

(١) أَى : كَثْرَةُ طَرَفِهَا ، وَهَذَا يُشْعَرُ بِالتَّوَهُاتِ بَيْنَ الدَّرُوبِ .

(٢) أَى : بِصَرْفِكَ .

(٣) مَجْمَلُ اللُّغَةِ : ٣ / ٩٤٤ .

(٤) انْظُرْ : الْمَرْجِعُ السَّابِقُ : ١ / ٣٤ .

(٥) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ : ص ٧٧ .

(ت ٢٢٤ هـ) وأبو عبد الله : محمد بن زياد الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) وأبو العباس : أحمد بن يحيى الشيباني (ثعلب - ت ٢٩١ هـ) وأبو العباس : محمد بن يزيد الثمالى (المبرد - ت ٢٨٥ هـ) وأبو محمد : عبد الله بن مسلم القتيبي (ابن قتيبة - ت ٢٧٦ هـ) وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت - ٣٢١ هـ) .

وقد سمع من هؤلاء العلماء عن طريق روايتهم ومن نقلوا عنهم .

هذا وقد صرح - عقب ذلك - بأن كلام بعضهم دخل في بعض ، وأن ما ألفه في هذا الكتاب : يعد من كلامهم أجمعين « وإن كان أحدهم قد زاد - في التصارييف والشواهد - على الآخر »^(١) .

أما مصادره المقرؤة :

والتي صرح بها في ثنايا كتابه فقد كانت الكتب الآتية :^(٢) .

- ١ - كتاب العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي .
- ٢ - كتاب غريب الحديث : لأبي عبيد .
- ٣ - كتاب الغريب المصنف : لأبي عبيد .
- ٤ - كتاب إصلاح المنطق : لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) .
- ٥ - كتاب تهذيب الألفاظ : لابن السكيت .
- ٦ - كتاب القلب والإبدال لابن السكيت .
- ٧ - كتاب جمهرة اللغة : لابن دريد .
- ٨ - كتاب غريب الحديث : لابن قتيبة .
- ٩ - كتاب أدب الكاتب : لابن قتيبة .
- ١٠ - كتاب الجيم : لأبي عمرو الشيباني .

(١) مجمل اللغة : ١ / ٧٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٦ - ٣٨ .

١١ - كتاب النبات : لأبي حنيفة الدينوري (ت ١٩٠ هـ) .

١٢ - الكتاب : لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) .

١٣ - كتاب الإبل : للاصمعي .

١٤ - مجاز القرآن : لأبي عبيدة .

١٥ - كتاب النوادر : للحياثي (علي بن المبارك) .

منهج مجمل اللغة :

أولا : قسم ابن فارس كتابه إلى ثمانية وعشرين كتابا بعدد حروف الهجاء .

وبدأ بكتاب الهمزة وانتهى بكتاب الباء .

وحشا هذه الكتب بالألفاظ التي أولها الحرف عنوان الكتاب ، وقد وضع ذلك في مقدمته حيث قال :^(١) « خَرَجْتُهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَم ، فَجَعَلْتُ كُلَّ كَلِمَةٍ أَوَّلَهَا أَلْفٌ : فِي كِتَابِ الْأَلْفِ ، وَكُلَّ كَلِمَةٍ أَوَّلَهَا بَاءٌ : فِي كِتَابِ الْبَاءِ ، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى الْحُرُوفِ كُلِّهَا » .

ثانيا : قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسة ، هي :

١ - باب الثنائي المضاعف الحرف الثاني - مثل : (رس) والمطابق :

وهو الذي تكرر حرفاه - وهو ما نعبّر عنه بالمضاعف الرباعي -

مثل رَسْرَس^(٢) ، وقد ذكر المطابق في ثانيا الثنائي المضاعف^(٣) .

ويستطرد في ذكر موالد هذا الباب حتى يستقصيها ، وإن شئت

فانظر معي كتاب الباء مثلاً تجده قد بدأه بقوله^(٤) : باب الباء وما

بعدها في المضاعف والمطابق ، ثم يذكر مواده هكذا :

(١) مجمل اللغة : ١ / ٧٦ .

(٢) انظر كتاب الرء - مجمل اللغة : ١ / ٣٦٦ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق : ١ / ١١٠ .

بت - بث - بج - بخ - بد - بر -
بز - بس - بش - بص - بط - بظ - بع - بغ -
بق - بك - بل - بن - به - بو - بأ - بب .

٢ - باب الثلاثي : ويذكره بعد الانتهاء من الثنائي
المضاعف والمطابق .

٣ - باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة
أحرف : ويذكره عقب الانتهاء من باب الثلاثي في
كل كتاب .

ملاحظات على منهجه :

ذكرت مثالا لمنهجه في ترتيب مفردات كتابه في باب الثنائي المضاعف والمطابق
وسوف أذكر مثالا لمنهجه في ترتيب هذه المفردات في باب من أبواب الثلاثي
حتى تتضح لنا صورة هذا المنهج .

ففي كتاب الرء - مثلاً - يقول : باب الرء والزأ وما يثلثهما^(١) ، ثم
يأتى بمواد الباب الثلاثية مرتبة حسب الأول والثاني والثالث من حروفها هكذا :
رزع ، رزف ، رزق ، رزم ، رزن ، رزأ ، رزح .

وتلاحظ معي هنا : أنه بدأ باب الرء والزأ وما يثلثهما : بالرء والزأ ثم
ثلثهما بما بعدهما من حروف مثل : العين ثم الفاء ثم القاف ثم الميم ثم النون ،
وبعد ذلك أكمل المواد من بداية حروف الهجاء فثلثهما بالهمزة ثم بالحاء وذلك
بعد إسقاط المواد التي لا تستعمل .

وقد نهج مثل هذا المنهج في باب الثنائي السابق الذكر حيث بدأ بالباء وثناها
بما بعدهما من الحروف - وهى التاء ثم الثاء ثم الجيم وهكذا حتى وصل إلى الواو

(١) مجمل اللغة : ١ / ٣٧٣ .

ثم ثناها بالهمزة ثم بالياء .

وبناء على ذلك أقول : إنه لم يبدأ مواد كل باب من أول حروف الهجاء ولكنه بدأها بالحروف التي يسمى باسمها الباب ، ثم بالحروف التي تليها ثم بالتاليها وهكذا حتى ينتهي إلى الياء ، فيعود إلى أول حروف الهجاء ، حتى يصل إلى أول ما بدأ به الباب وهكذا « فإذا تصورنا أن الأبجدية منتظمة في شكل دائرة : فإن الترتيب يبدأ من الحرف المعين مبتدئاً بتأليفه مع ما يليه في الدائرة ثم ينتقل إلى الحرف الثاني وهكذا حتى تعود الدائرة من حيث بدأت »^(١) .

وقد جعل ابن فارس : الثلاثي أبواباً عدة تستقصى مادته ، وإن شئت فتأمل معي كتاب الكاف^(٢) ، وعُدَّ عن باب الكاف وما بعدها في المضاعف والمطابق تجده يذكر^(٣) - بعد ذلك - :

باب الكاف واللام وما يثلثهما	باب الكاف والميم وما يثلثهما
باب الكاف والنون وما يثلثهما	باب الكاف والهاء وما يثلثهما
باب الكاف والواو وما يثلثهما	باب الكاف والياء وما يثلثهما

ثم يعود إلى أول حروف الهجاء فيذكر :

باب الكاف والألف وما يثلثهما	باب الكاف والباء وما يثلثهما
باب الكاف والتاء وما يثلثهما	باب الكاف والثاء وما يثلثهما
باب الكاف والحاء وما يثلثهما	باب الكاف والذال وما يثلثهما
باب الكاف والراء وما يثلثهما	باب الكاف والزاي وما يثلثهما
باب الكاف والشين وما يثلثهما	باب الكاف والسين وما يثلثهما
	باب الكاف والظاء وما يثلثهما

(١) د . عبد الله درويش - المعاجم العربية مع إعتناء خاص بمعجم العين - نشر الأنجلو - ص ١٢٤ .

(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٧٦٥ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق : ص ٧٦٩ .

باب الكاف والعين وما يثلاثهما باب الكاف والفاء وما يثلاثهما

وتلاحظ معي هنا : أنه سار على منهجه السابق الذكر والذي يشبه الدائرة ،
كما تلاحظ أنه أسقط الأبواب التي لم تستعمل في كتاب الكاف مثل :

باب الكاف والحاء وما يثلاثهما	باب الكاف والصاد وما يثلاثهما
باب الكاف والضاد وما يثلاثهما	باب الكاف والطاء وما يثلاثهما
باب الكاف والغين وما يثلاثهما	باب الكاف والقاف وما يثلاثهما

وقد سار على منهجه هذا في جميع الحروف ما عدا حرف الياء ، فإنه لم يأت فيه بأبواب متعددة للثلاثي بل اقتصر على باب واحد قال فيه^(١) : « باب الياء وما بعدها مما هو على ثلاثة أحرف » ثم علل ذلك بقوله^(٢) : وكتبت ذلك كله بابا واحدا لقلته^(٣) .

الاضطراب في ترتيب المواد :

وقد حدث هذا الاضطراب في ترتيب مواد : الثنائي ، والثلاثي ، وما هو أكثر من ثلاثة .

أما الثنائي : فمثلا نجده قد ذكر في كتاب الضاد^(٤) المواد الثنائية الآتية :

ضع - ضغ - ضف - ضك - ضل - ضم - ضن - ضاً - ضو -
ضب - ضج - الخ . . . فمادة (ضو) ذكرت بعد (ضاً) وكان حقها أن تذكر قبلها حسب منهجه .

وأما الثلاثي : فمن أمثلة اضطراب ترتيب مواده : ما حدث في باب اللام والفاء وما يثلاثهما فقد رتب مواده كما يلي :

(١) مجمل اللغة : ٣ / ٩٤١ .

(٢) أى : لقلته مواده .

(٣) انظر : مجمل اللغة : ٢ / ٥٥٩ .

لفق - لفك - لفم - لفأ - لفت - لفظ - لفج - لفح - لفع . فقد قدم :
(لفظ) على (لفج) وكان حقها أن تكون بعد (لفح) .

وقد حدث منه « اضطراب كثير في ترتيب مواد أبواب الثلاث وفي معظم حروف الكتاب »^(١) .

أما عن اضطراب مواد أبواب ما زاد على ثلاثة فقد كان ذلك ديدنه ، ومثال ذلك ما حدث في باب ما جاء على كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله كاف^(٢) . حيث ذكر المواد التالية بالترتيب الآتي :

الكَفَلِيلَةُ - الكِرْنَاةُ - الكَرْقَعَةُ - الكَرْبَلَةُ - الكِنْفِيرَةُ - الكُنَابُثُ -
الكَثْمَةُ .

ونظرة واحدة إلى هذه المواد : تريك أنها مضطربة الترتيب ، ولم يسر في ترتيبها على حسب منهجه .

وبالإضافة إلى ذلك : فإنه أحيانا لم يكن يأتي بالمفردات التي ترجع إلى مادة واحدة - في هذا الباب - مجمعة وراء بعضها ، بل يباعد بينها ، ومثال ذلك : قوله - في باب الغين وما بعدها مما هو على أكثر من ثلاثة أحرف^(٣) « والعَطْمَشُ : الكليل البصر » ثم إتيانه بالمواد الآتية وتفسيرها ، وهي : « العَشْمَرَةُ - العَمَلَجُ - العُرْضُوفُ - العَلَصَمَةُ - العَطْرَسَةُ - العَطْرَفَةُ - العِرْبَالُ - المعْرَبَلُ - العَذْمَرَةُ - العَقْدَرَمَةُ - العَضَنْفَرُ - المعْرَنْدَى » .

ثم قوله بعد ذلك : والعَطْمَشُ : الظَّلُومُ الخائن .

هذا : وقد ذكر هذا الباب - وهو ما زاد على ثلاثة - في كل كتاب ، ما عدا كتاب الهمزة ، فإنه لم يذكره فيه ، بل نبه إلى أنه متفرق فيما يأتي بعد كتاب

(١) مقدمة المحقق : ص ٤١ .

(٢) الجمل : ٣ / ٧٨٨ ، ٧٨٩ .

(٣) السابق : ص ٦٩٨ .

الهمزة ، وعلل ذلك : بأن الهمزة غير مستقرة وقد تكون زائدة .

كما أشار إلى أنك إذا « التمسست الكلمة منه (أى مما زاد على ثلاثة وأوله همزة) فانظر إلى الحرف الذى تراه بعد الألف (أى الهمزة) فالتمسها هناك ، كأنك سئلت عن (إغليط) : فهو فى كتاب العين و (الأملود) : فى كتاب الميم ، و (الإصليت) : فى كتاب الصاد وعلى هذا سائر^(١) .

أما عن اضطرابه فى تسمية بعض أبواب الثلاثي : فقد حدث ذلك منه فى كتاب الألف^(٢) ، حيث قال : باب الهمزة والباء وما يثلثهما .

ثم قال : باب الألف والتاء وما يثلثهما ، وظل على تلك التسمية إلى باب الألف والذال ، ما يثلثهما ، ثم قال : باب الهمزة والذال وما يثلثهما ، ثم عاد فقال : باب الأنف والراء وما يثلثهما ، ثم قال : باب الهمزة والزاي وما يثلثهما ، إلى أن وصل إلى باب الهمزة والياء وما يثلثهما .

أما عن مظاهر الاضطراب فى منهجه ، فقد تمثلت فيما يأتى^(٣) :

١ - الخلط بين المواد اللغوية ، وتبين ذلك مما يلي :

أ - الخلط بين الثلاثي وما زاد عليه : حيث ذكر (ثرطاً) - وهى

رباعية - فى مادة : (ثرط)^(٤) ، كما ذكر : (دردق) فى مادة

(درق)^(٥) و (دردب) فى مادة : (درب)^(٦) و (الدخدار) فى

مادة : (دخر)^(٧) .

(١) المجلد : ١ / ١٠٩ .

(٢) انظر : السابق : كتاب الألف .

(٣) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤١ .

(٤) انظر : مجمل اللغة ١ / ١٥٨ .

(٥) السابق : ص ٣٢٢ .

(٦) السابق : ص ٣٢٤ .

(٧) السابق : ص ٣٤٨ .

ب - الخلط بين الشائى والثلاثى : حيث ذكر (ذأن) فى مادة
ذن^(١) ، و(زلزل) فى مادة : (زل)^(٢) .

وكان أحيانا يشير - حين يذكر المواد الثلاثية فى الشائىة - إلى أنها
من الثلاثى^(٣) ، وأحيانا أخرى لا يشير إلى ذلك .

٢ - الخلط بين المهموز والمعتل ، ويبدو أن ذلك حدث منه بسبب اهتمامه
باللفظ وصورة الخط بدليل قوله فى مادة (ذيب) - بعد ذكره
لكلمات : الذئب والذئبة ومذؤوب : « وهذه كلها همزات^(٤) وإنما
ذكرتها فى هذا الباب (أى : باب الذال والياء وما يثلثهما) لصورة
الخط^(٥) .

٣ - الخلط بين المعتل من المواد إذا كان الحرف المعتل فى وسط المادة :

مثل : قال وباع ، ولذا تجده يذكر ما ينطق بالألف - وأصله الواو
أو الياء - ثم يشير إلى أنه مذكور فى بابهِ الأصيل ، وذلك حيث يقول
فى باب القاف والألف وما يثلثهما^(٦) : « عامة هذا الباب مكتوب فى
موضعه لأن الألف منقلبة عن ياء أو واو وإنما أثبتناه هنا للفظ » .

ولعل هذا ما جعله يكرر المواد فى أكثر من مكان وهو شىء
مأخوذ عليه أيضا .

اعتذار المحقق لصاحب المجلد عن الاضطراب السابق الذكر :

(١) المجلد : ٢ / ٣٥٥ .

(٢) السابق : ص ٤٣٢ .

(٣) كما قال فى مادة (ذن) حين ذكر (ذأن) : « وهذه من الثلاثى » - السابق : ص ٣٥٥ .

(٤) أى أنها من المفروض أن تكون فى باب : الذال والهمزة وما يثلثهما .

(٥) السابق : ٣٦٢ .

(٦) السابق : ٣ / ٧٤٠ .

وقد اعتذر محقق الكتاب قائلا^(١) « ولعل رغبته في التقريب على المبتدئ من أسباب هذا الخلل المهمة » .

ولا أذهب إلى ما ذهب إليه المحقق الكريم ، وذلك لأن هذا الخلل وذاك الاضطراب لا يساعدان المبتدئ ولا الباحث في ثنايا المجمل ، بل إنهما يفرقانه في بحار من الحيرة والاضطراب والشك ، حيث يعتمد إلى البحث عن كلمة معينة - في ثناياه - فلا يجدها في مكانها فيظن أنها مهملة ، أو أن المؤلف اسمها ، فيأس من العثور عليها .

والذى أعتقده : أن ابن فارس لم تتح له فرصة لمراجعة معجمه هذا ، لأن ذلك الاضطراب لا يخفى على المبتدئ في هذا الميدان ، فما بالك برجل ضليع متمكن مثله !

وكنت أتمنى لو أن المحقق أزال هذا الاضطراب ، وذاك الخلل ووضع كل شيء في مكانه مع الإشارة - في الهامش الأسفل - إلى الموضع الأصلي للمادة التى وضعها في مكانها الصحيح ، ولو فعل ذلك لزال الاضطراب ولخرج المجمل إلى الناس فى ثوب قتيب .

٤ - عدم عرضه لمنهج كتابه فى مفتحه حتى يقف عليه مطالعهُ ومردتاه ، بل إنه ساقه فى ثنايا معجمه ، وليته عرضه فى مكان واحد . . ولكنه ساقه حيثما اتفق .

فمرة نراه يتكلم عن منهجه فى مقدمته^(٢) ، ومرة نراه يتكلم عنه فى مفتح كتاب من كتب مجمله^(٣) ، وأخرى نراه يتكلم عنه فى نهاية المجمل^(٤) .

(١) مقدمة المحقق : ص ٤٢ .

(٢) انظر : مجمل اللغة : ١ / ٧٦ .

(٣) السابق : ص ١٦٨ .

(٤) السابق : ٣ / ٩٤٤ .

وفي اعتقادي : أنه لم يعتمد إلى ذلك ، ولكنه كان يكتب كتابه وكلما
سنحت له فكرة عن منهجه : سجلها حتى وإن كانت في غير مكانها .

ولعله ظن منذ البداية أنه لا حاجة به إلى تحديد منهجه إلا بقدر ، ثم عن
له بعد ذلك أن يوضح بعض نقاطه التي ظن أنها تحتاج إلى توضيح .

هـ - اضطرابه في عرض مفردات المادة :

وذلك حيث كان يبدأ أحيانا بذكر الفعل وتصريفه كقوله في مادة
(أسف) (١) .

« أسفت أسف أسفا : إذا لهفت ، والأسيف : الغضبان والأسيف
الأجير .. إلخ .

وأحيانا : يبدأ بذكر الاسم ، ثم يأتي بالفعل وتصريفاته ومشتقاته
ومعانيه ، كقوله - في مادة (أسن) - (٢) :

« الآسان : الجبال ، قال : (٣)

وقد كنت أهوى الناقية حنجة فقد جعلت آسان نفسي تقطع

وأسن الماء : يأسن ، وأسن يأسن ويأسن : إذا تغير ، وتأسن -
أيضا - والأسن : بقية الشحم » .. إلخ .

وأحيانا أخرى : يبدأ بالصفة ، كقوله - في (بسق) (٤) - : « ناقة
مُبيق ، من : نوق مباسيق ، وهي التي وقع اللبأ (٥) في ضرعها قبل أن
تلد ، وبسق الشيء : طال ، وبسق على أصحابه : علاهم » . إلخ .

(١) المجمل : ٩٥ / ١ .

(٢) السابق : ص ٩٦ .

(٣) القائل هو : سعد بن زيدة مناة ، والبيت وارد في الصحاح (نقم) : كما يلي :

لقد كنت أهوى الناقية حنجة فقد جعلت آسان وصل تقطع

(٤) مجمل اللغة : ١٠٩ / ١ .

(٥) اللبأ : من اللبن مهموز - مجمل اللغة (لبأ) .

منهج ابن فارس في عرض محتويات مجمل اللغة :

١ - نوعية المفردات التي يذكرها :

- أ - ألزم نفسه - في هذا الخصوص - بذكر ما يأتي :
أ - أوضح الصحيح من المفردات اللغوية العربية .
ب - المشهور من أقوال العرب ، الدال على غريب القرآن والحديث والشعر .
وذلك حيث قال في تقديمه لكتاب الجيم - من مجمل اللغة^(١) -
« قد ذكرنا فيه الواضح من كلام العرب ، والصحيح منه دون الوحشي
المستنكر ، ولم نأل في اجتناء المشهور الدال على غريب آية أو تفسير
حديث أو شعر » .

٢ - مصدر مفرداته اللغوية :

وقد أتى بمفرداته تلك من السماع الصحيح ومن الكتب المشهورة الصحيحة
النسب .

ونبهنا إلى ذلك في نهاية كتابه حيث قال :^(٢) : « واقتصرت على ما صح
عندي سماعاً أو من كتاب صحيح النسب مشهور .

٣ - ضبطه المفردات اللغوية^(٣) :

تعددت أشكال الضبط عنده ، فقد ينص على ذكر حركة الحرف ، فيقول
مثلاً : « والإمّة - بالكسر - : النعمة »^(٤) .

فإذا كانت اللفظة مما يقرأ بلغتين : فهو إما أن يذكرها مرتين مع الضبط في

(١) ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) ج ٣ ص ٩٤٤ .

(٣) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤٢ .

(٤) مجمل اللغة (أم) .

كل مرة بشكل معين ، كقوله^(١) : « مِقْبَضُ السَيْفِ وَمِقْبَضُهُ » وإما أن يذكر اللغتين دون تكرار للفظ كقوله^(٢) : « يقال ما أدرى أى النّخط هو : بالضم والفتح » .

وقد يضبط الكلمة على حسب إحدى اللغتين ثم يشير إلى الأخرى كقوله^(٣) : « ما به حَبْضٌ ولا نَبْضٌ ، أى : تحرك ، وقد تسكن الباء » .

أما إذا كانت اللفظة مما يقرأ بثلاث لغات ، فإنه يذكرها جميعا كقوله^(٤) : « أَجَنُ الماءِ يَأْجَنُ ويَأْجُنُ : إذا تغير ، ويقال : أَجَنَ يَأْجَنُ »^(٥) .

أما المفردات التي ظن أنها تُشكّل على القارىء : فقد قيدها بذكر وزنها كقوله^(٦) : « تَأَيَّيْتُ على : تَفَعَّلْتُ ، أى : تَمَكَّنْتُ » .

وإذا كانت الكلمة مهموزة : نبه على ذلك - إذا تأكد منه - حتى لا تلتبس بغير المهموزة ، كقوله^(٧) : « والخشبة مِثْجَنَةٌ - مهموزة » وإذا لم يتأكد : فإنه يشير إلى عدم تأكده من همزها كقوله^(٨) : « والظأب : الكلام والحلية ، ولا أدرى أمهموز أم غير مهموز » .

(١) المجمل : (قبض) .

(٢) السابق : (نخط) .

(٣) السابق : (نبض) .

(٤) السابق : (أجن) .

(٥) ذكر المحقق أنه إذا كانت اللفظة مما يقرأ بثلاث لغات فإن ابن فارس يذكر اللغة المشهورة أولا ، ثم يذكر اللغتين الأخريين ، وضرب المثل بقوله « والقِطامى : الصقر ، وقد يفتح ويضم » هذا وقد ضبط المحقق كلمة (القِطامى) بالكسر في مقدمته (ص ٤٢) ، وضبطها بالضم في صلب الكتاب (٣ / ٧٥٨) وهو الأصح حيث وافق الصحاح ، وهذا مما يشعر أن فيها لغتين فقط هما : الضم والفتح ، ولذلك فإن هذا لا يصلح مثالا لما أراده المحقق كما اعتقد .

(٦) مجمل اللغة : (أى) .

(٧) السابق : (أجن) .

(٨) السابق : (ظأب) .

٤ - عرضه الآراء اللغوية^(١) :

كان ابن فارس - في مجمله - أحيانا : يعرض آراء اللغويين السابقين عليه دون أن يرجح أحد الآراء على الآخر ، كقوله في (نهش)^(٢) : « نَهَشَ مثل : نَهَشَ ، قال ابن دريد : قال الأصمعي : النهش والنهس واحد ، وهو أخذ اللحم بالفم ، وخالفه أبو زيد فقال : بل النهش بمقدم الفم .

وكان أحيانا أخرى : يرجح رأيا على آخر ، ذاكرا ما عنده من أدلة ترجيحية ، كقوله في (ضف)^(٣) : « وقال ابن السكيت : ضفيفة من بقل وقال غيره : ضغيفة ، والأول عندى أصح ، لأنى رويت عن ابن السكيت رواية : ووديفة^(٤) : وذلك إذا كانت الروضة ناضرة متخيلة ورواها أناس : ضغيفة وفيما أظن أنهما وجهان صحيحان ، الذى سمعته أنا بالفاء » .

كما كان يستدرك على من سبقه إذا عنَّ له ذلك بل ويؤهّم بعضهم ذاكرا الصواب ، كقوله في (حسب)^(٥) : « وقال بعضهم : التحسب دفن الميت تحت الحجارة ، قال :

غداة ثوى فى الرمل غير مُحَسَّب

وهذا فيما أحسب : غلط ، إنما المُحَسَّب : المُوسَّد .

٥ - عنايته بلهجات العرب :

عنى ابن فارس - في مجمله - ببيان بعض لهجات العرب ، كلهجة هذيل

(١) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤٣ .

(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٨٤٥ .

(٣) السابق : ١ / ٥٥٩ .

(٤) قال ابن فارس في (ودف) : « الودفة : الروضة الخضراء من نبت وليس يبقل والودفة نحوها »

- السابق ٣ / ٩٢٠ ، وفي القاموس المحيط « الودفة : الروضة الخضراء كالوديفة » : ودف .

(٥) السابق : ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

حيث قال في (خيط)^(١) : « الخِطَّة - في لغة هذيل - الودد » .

ولهجة أهل الشحر حيث قال في (خسف)^(٢) : « ويقال : إن الخُسْف بلغه أهل الشحر - : الجُوز ، والواحدة خُسْفَة » .

ولهجة بني تميم حيث قال في (عفت)^(٣) : « ويقال إن الأعفت - في لغة تميم - : الأعسر ، وفي لغة غيرهم : الأحق .

ولهجة أهل الشام كقوله في (أرس)^(٤) : « الأرايس : الزارعون وهم لغة شامية » .

وأخيرا : لهجة أهل اليمن - التي عنى بها أكثر من غيرها واستقاها من جمهرة ابن دريد - كقوله في (جفش)^(٥) : « قال ابن دريد : الجفش : الجمع ، لغة يمانية » .

٦ - عنايته بالظواهر اللغوية والصرفية :

مثل : الإبدال ، كقوله في (أتن)^(٦) : « والأثنان : لغة في الأثلان ، وهو تقارب الخطو » .

والضاد ، كقوله في (حنق)^(٧) : « والمحانيق : الإبل الضَّمَر يقال : أحنقت : إذا أضمرت ويقال : هي السَّمان ، وإنما من الأضداد .

(١) مجمل اللغة : ٣٠٨/٢ .

(٢) السابق : ص ٢٨٨ .

(٣) السابق : ٦١٦ / ٣ .

(٤) السابق : ٩١ / ١ .

(٥) السابق : ص ١٩٢ .

(٦) السابق : ص ٨٦ .

(٧) السابق : ص ٢٥٤ .

والإفراد والثنائية والجمع ، كقوله في (أ ث)^(١) : « ونساء أثاث كثيرات اللحم ، والأثاث : متاع البيت واحدته أثاثة ، ويقال : إنه لا واحد له من لفظه » .

والنسبة ، كقوله في (أبو)^(٢) : « والنسبة إلى الأب : أبوى » وكقوله في (حصن)^(٣) : « وحصتان : بلد والنسبة إليه : حصني » .

٧ - إشارته إلى المعرب :

اهتم ابن فارس في مجمله بالألفاظ المعربة من الكلام الأعجمي وكانت خطته في ذلك :

أ - أن يذكر اللفظ المعرب واللغة التي جاء منها ، كقوله في (كرج)^(٤) « الكُرْجُ : فارسي معرب » .

ب - أن يذكره ، واللغة التي جاء منها ، وأصله في تلك اللغة ، كقوله في (جيز)^(٥) « والجائر : الجذع الذي يقال له بالفارسية : تير » وجمعه : أَجْوَرَه وجُوزان » .

ج - أن يذكره دون تعريف بلغته الأصلية كقوله في (قبح)^(٦) : « القُبْحُ معروف^(٧) ، وهو معرب » .

(١) المجمل : ص ٧٨ .

(٢) السابق : ص ٨٥ .

(٣) السابق : ص ٢٣٧ .

(٤) انظر : السابق : ٣ / ٧٨٣ .

(٥) السابق : ١ / ٢٠٤ .

(٦) السابق : ٣ / ٧٤٠ .

(٧) وهو الحَجَل (الصحاح : قبح) ويبدو أن ابن فارس لم يعرف به لأنه كان مألوفاً ومعروفاً في عصره ، هذا : وقد ضبطه ابن فارس بضم القاف ولكن الصحاح والقاموس المحيط : ضبطاه بفتح القاف كما أن الصحاح ذكر أنه لفظ فارسي الأصل وقال : إن القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة عربية - انظر : الصحاح والقاموس المحيط (قبح) .

د - أن يؤكد عربية بعض الألفاظ التي يُظَنُّ أنها معرَّبة ، كقوله في (تور)^(١) : « التَّورُ : عربى ، قال ابن دريد^(٢) : التَّور : الرسول بين القوم عربى صحيح .

هـ - أن لا يجزم بعربية بعض الألفاظ أو أعجميتها ، إذا لم يتأكد من ذلك ، كقوله في (خون)^(٣) : « والخِوان : - فيما يقال - اسم أعجمى » .

٨ - عدم تكراره الكلام :

وذلك أنه إذا ذكر المعنى في مادة ثم جاء شبيه له في مادة لاحقة : فإنه لا يكرر ما قاله ، بل يحيل على ما ذكر ، كقوله في (تلغ)^(٤) « والتَّلِغُ : التَّرِغُ ، وقد فُسِّرناه » .

وكان قد فسره في (ترع) حيث قال^(٥) : الامتلاء ، وقد ترع » ، أى : امتلأ .

وكثيرا ما كان يحدث ذلك في المعتل كقوله في (عو)^(٦) : العوة هى الصوت ، كتبناه هنا للفظ وهو في بابه مكتوب » .

وقد دلنا - بهذا - على أن مادتها هى (عوى) ولكنه ذكرها هنا مراعاة للفظ . هذا وقد رجعت إلى مادتها التى ذكرها وهى : (عوى) فلم أجده ذكرها في مكانها^(٧) ، ويبدو أنه نسيها ، وتلك كانت إحدى عيوب الإحالة عنده^(٨) .

(١) مجمل اللغة : ١ / ١٥١ .

(٢) قال ابن دريد (فى الجمهرة ٢ / ١٤) ما نصه : « والتور عربى معروف هكذا يقول قوم ، وقال آخرون : بل هو دخيل ، والتور : الرسول بين القوم عربى صحيح .

(٣) مجمل اللغة : ١ / ٣٠١ .

(٤) السابق : ص ١٥٠ .

(٥) السابق : ص ١٤٧ .

(٦) السابق : ٣ / ٦١١ .

(٧) السابق : ص ٦٣٨ .

(٨) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤٥ .

٩ - اهتمامه بالأنساب والظواهر الطبيعية^(١) :

اهتم ابن فارس في مجمله : بالأنساب وأيام العرب وخيلها وأصنامها ، كما اهتم بأسماء الحيوانات والطيور والنباتات والمدن والمواضع ، مع الميل إلى الإيجاز في ذكرها ، كقوله - مثلاً - في (عطل)^(٢) : « ويوم العُطالي : يوم لهم » وكقوله في (عَرَّ)^(٣) « والعراة اسم فرس » .

وندر منه التفصيل في مثل هذه الأمور ، كقوله في (بهز)^(٤) : « وبَهْزُ اسم رجل ، وهو : بهْزُ بن حكيم بن معاوية بن حَيْدَةَ القُشَيْرِي ، صاحب جُدّه النَّبِيُّ ﷺ » .

وكقوله في (رن)^(٥) : « ويقال : إن الرَّنَّ دُوَيْيَّة تكون في الماء ، تصيح أيام الصيف ، قال الشاعر :

* ولا اليمَامُ ولم يصدح له الرَّنَّ *

١٠ - اهتمامه بالشواهد :

حفل مجمل اللغة بالشواهد المختلفة : من القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف ، وأشعار العرب ، وأمثالهم ، وما اشتهر من أقوال الفصحاء والبلغاء ، وذلك على الرغم من عزمه على عدم الإكثار منها حيث قال في مقدمة مجمله^(٦) : « وسميته مجمل اللغة : لأنني أجملت الكلام فيه إجمالاً ولم أكثره بالشواهد والتصاريف » .

(١) المجمل - مقدمة المحقق : ص ٤٦ .

(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٦٧٥ .

(٣) السابق : ص ٦١٣ .

(٤) السابق : ١ / ١٣٧ .

(٥) السابق : ص ٣٧٠ .

(٦) مجمل اللغة : ص ٧٥ .

ولكن « الحاجة إلى الشواهد فرضت نفسها على المؤلف فاضطر إلى ذكرها خدمة لقارئ كتابه »^(١) وإن كان قد ظل حريصا على الالتزام بوعده ما أمكن ، ولذلك : كان أحيانا يستشهد بلفظة واحدة من القرآن الكريم ، كقوله في (هرت)^(٢) : « وهاروت : قد جاء ذكره في القرآن » .

ويعنى بذلك قوله تعالى في سورة البقرة (آية ١٠٢) : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ ﴾ .

كما كان - في استشهاده بالحديث الشريف - لا يذكر الحديث كاملا ، بل يكتفى بالإشارة إليه ، كقوله في (لمس)^(٣) : « ونهى رسول الله ﷺ عن بيع الملامسة » .

أهم المآخذ عليه في عرضه المفردات اللغوية^(٤) :

١ - إيراد مفردات لا يتأكد من تمام صحتها وثبوتها ، وذلك كقوله في (تشح)^(٥) : « ذكر بعضهم أن التُّشْحَةَ : القليل من اللبن يقال : ما بقي في الإناء تُّشْحَةٌ ، ولم أسمعها ، وفيها نظر » .

وكقوله في (عفث)^(٦) : « الأعْفَثُ الذى إذا جلس تكشف ، قالها الأصمعى ولم أسمعها سماعا » .

(١) مقدمة المحقق : ص ٤٦ .

(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٩٠٣ .

(٣) مجمل اللغة : ٣ / ٧٩٤ ، ونص الحديث : « عن أنى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن الملامسة والمناوبة » صحيح البخارى (ط ٢ البهية المصرية) : ١١ / ٢ .

(٤) عن مقدمة المحقق - انظر : ص ٤٥ ، ٤٦ ، هذا : وقد أخذ المحقق على ابن فارس - في هذا الصدد - أشياء ، لم أستطع أن أسلكها ضمن المآخذ عليه ، لأننى وجدتها - من وجهة نظرى - لا تعد مأخذ ، وإن شئت فانظر مقالى عن مجمل اللغة بمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد ٦ .

(٥) مجمل اللغة : ١ / ١٤٨ .

(٦) السابق : ٣ / ٦١٦ .

وكقوله في (أنب)^(١) : « ويقال أصبحت مُؤْتَبِّيًا : إذا لم تشته الطعام ، قال أبو زيد : ولم أسمع سماعا .

وهذا مخالف لما أخذه على نفسه من عدم ذكره اللفظ إلا إذا : صح سماعا ، أو ذكره كتاب لا يشك في صحة نسبته^(٢) .

٢ - نسيانه بعض الإحالات التي وعد بذكرها في بابها^(٣) .

٣ - عدم الدقة في نقل بعض الألفاظ عن الآخرين وذلك « كقوله (الدين من الأمطار)^(٤) والصواب أنه الودين كما ورد في كتاب العين .

وقوله - عن الفراء - : (رُئِيَ - بوزن : حُبْلَى - هي جمادى الأولى)^(٥) في حين كانت (ورنَة) في كتاب الفراء : « الأيام والليالي والشهور »^(٦) .

٤ - هذا بالإضافة إلى صعوبة منهجه الذي اتخذه في عرض مواد كتابه والذي كان يحتاج إلى مزيد من التبسيط ليكون في متناول عامة القراء لا خاصتهم فقط .

لكن هذه الهنات التي ذكرتها لا تنقص من قدر هذا الكتاب الجليل .

واعتقد انه لو أتيت لصاحبه الفرصة كي يراجع كتابه : لخلا من هذه المآخذ تماما . ولكن الكمال لله وحده .



(١) المجمل : ١ / ١٠٤ .

(٢) السابق : (مقدمة كتاب الجيم) : ١ / ١٦٨ .

(٣) انظر في ذلك : ص ١٦١ من هذا الكتاب .

(٤) نص عبارة ابن فارس : « ويقال إن الدين من الأمطار : ما اعتاد مكانا وقد حكى عن الخليل

« مجمل اللغة : ٢ / ٢٤٣ ، ووضح منها عذر ابن فارس ، لأنه نقل عن نقل عن الخليل .

(٥) قال ابن فارس في هذا الصدد : (المجمل : ٢ / ٣٧٠) « وحكى ناس عن الفراء ولم أسمع

سماعا وإنما وجدته أنه يقال لجمادى الأولى : رنى بوزن حبل » ووضح هنا أيضا أنه نقل عن

نقل عن الفراء وأنه لا يكاد يصدق .

(٦) مقدمة المحقق : ص ٤٥ ، ٤٦ .

ثالثا : مكانة مجمل اللغة بين المعجمات الهجائية الألفبائية :

مجل اللغة لأبن فارس يعد - في رأى ورأى بعض الباحثين^(١) - أول معجم رتب مفرداته ترتيبا ألبائيا مع مراعاة الحروف : الأول والثاني والثالث من الكلمة .

وحسنا فعل الأستاذ عطار حينما عد ابن فارس من رواد المعجمات العربية^(٢) .

ولكنى لست معه فى أن يعد محمد بن تميم البرمكى (توفى سنة ٤٣٣هـ) صاحب مدرسة الترتيب الألفبائى^(٣) ، لأن ترتيب ابن فارس كان معروفا ومشهورا قبل أن يأتى البرمكى حيث ولد ابن فارس سنة ٣٠٦ أو ٣٠٨هـ^(٤) ، بينما ولد البرمكى سنة ٣٧٢هـ^(٥) ، فابن فارس سابق فى الميلاد - وبالتالى فى التأليف - بسنين طويلة .

وحين صنف البرمكى كتابه سنة ٣٩٧هـ^(٦) - بعد وفاة ابن فارس بعامين ، حيث توفى سنة ٣٩٥هـ - كان مجمل اللغة قد ذاع وانتشر واشتهر ، وأراد البرمكى أن ينسج على منواله - متجاوزا طريقته بعض الشيء - فلجأ إلى كتاب الصحاح - الذى كان قد ألف سنة ٣٩٦هـ^(٧) ، وكان مرتبا على أساس مدرسة التقافية التى تعد الحرف الأخير من الكلمة بابا ، والأول منها فصلا - فأعاد ترتيبه

(١) انظر : مقدمة محقق مجمل اللغة : ص ٧ .

(٢) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات العربية - لأحمد عبد الغفور عطار - ص ١٢٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ص ١١٤ .

(٤) انظر : مجمل اللغة : ١ / ١٢ .

(٥) انظر : المعاجم العربية - الكتاب الأول - للدكتور عبد السميع محمد أحمد : ص ١٣٥ .

(٦) انظر : معجم الأدباء - لياقوت الحوى : ١٨ / ٣٥ .

(٧) المرجع السابق : نفسه .

على نظام الألفبائية التي اتبعها ابن فارس . وراعى فيها الحرف الأول والثانى والثالث .

وأستطيع أن أقول إن البرمكى لم يبدل أى جهد يذكر فى كتابه هذا الذى اسماءه : (المنتهى فى اللغة)^(١) ، اللهم إلا إعادة ترتيب مواد الصحاح على النظام الألفبائى ، مع مراعاة الحرف الأول والثانى والثالث والرابع ، وقد « سهل » بهذا أن الجوهرى راعى هذه القاعدة^(٢) .

ومن عجب أنى وجدت الأستاذ عبد الغفور عطار يقول^(٣) : « ومع هذا فإن البرمكى أجهد نفسه فى ترتيب المواد لأنه أخذ الصحاح ورتبه ترتيبا جديدا حيث جعله على أوائل الحروف » .

مع أن البرمكى - على حد قول (عطار)^(٤) - لم يزد على « أن أخذ من الصحاح من كل باب وفصل : الحرف الذى يريده ، ففى باب الهمزة : أخذ منه فصل الهمزة ، ومن باب الباء والتاء والثاء والجيم حتى الياء : أخذ فصل الهمزة ، ورتبها على أوائل الحروف ، مراعى الحرف الثانى والثالث ، ثم انتقل إلى باب الباء ، وصنع فيه (مثل) ما صنع فى باب الهمزة ، حتى انتهى إلى آخر حرف من حروف الهجاء .

جهد البرمكى فى (المنتهى فى اللغة) :

فأى جهد بذله البرمكى فى هذا ؟ اللهم إلا جهد النقل من كتاب إلى كتاب آخر ، ولذلك فإنه لم يمكث فى إعداد كتابه طويلا ، حيث ظهر بعد ظهور الصحاح بعام واحد^(٥) .

(١) معجم الأباء : ١٨ / ٣٥ ، كشف الظنون : ٢ / ١٨٥٨ ، هدية العارفين : ٢ / ٦١ .

(٢) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١٣٣ .

(٣) السابق : نفسه .

(٤) السابق : ص ١٣٤ .

(٥) انظر : معجم الأدباء : ١٨ / ٣٥ .

ثم إن الصحاح - بطبيعته - كان مرتبا داخليا ، حسب الحرف الأول والثاني والثالث والرابع ، ولم ينقصه - لكى يصبح على النظام الألفبائى - إلا نقل الفصول المتفرقة من أماكنها - فى الصحاح - لكى تحتل مكانها فى الأبواب الجديدة الملائمة لها فى كتاب (المنتهى فى اللغة) وليس فى هذا أى جهد تأليفى .

جهد ابن فارس فى (مجمل اللغة) :

وأين هذا من الجهد الذى بذله ابن فارس فى مجمله من ناحية :

١ - التأليف : الذى اعتمد على الاختصار ، بينما كان يعيش فى زمن المعاجم المطولات .

٢ - ومن ناحية : تقسيم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة (الثنائى المضاعف والمطابق ، ثم الثلاثى ، ثم ما زاد على ثلاثة) .

٣ - وأخيرا : من ناحية الترتيب ومراعاة الحرف الأول والثانى والثالث ، لا فى كل كتاب فقط ، بل فى كل باب .

ذبيوع (مجمل اللغة) واندثار (المنتهى فى اللغة) :

ومن أجل ذلك : ذاع (مجمل اللغة) - لابن فارس - وسارت به الركبان ، بينما كتاب (المنتهى فى اللغة) : لا يكاد يوجد له أثر ، اللهم إلا « جزء منه - فى مائة ورقة - بالمكتبة الخاصة بإبراهيم حمدى الخربوطلى ، أمين مكتبة شيخ الإسلام : عارف حكمة الله بالمدينة المنورة »^(١) .

هذا إلى جوار « قطعة فى ست ورقات - حجم صغير - بمكتبة كوبريللى ، رقم : ١٥٢١ / ٢ ، وهى من نسخة كتبت فى أوائل القرن السادس ، والموجود منها بعض نقول »^(٢) .

(١) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١١٦ .

(٢) فهرس المخطوطات المصورة - تصنيف : مؤاد سيد (طبع دار الرياض بالقاهرة) : ١ / ٣٧٥ .

كتاب : (المنتهى فى اللغة) عالة على غيره :

وفى اعتقادى أن كتاب (المنتهى فى اللغة - للبرمكى) : كان عالة على كتاب المجل : فى اختيار الطريقة التى سار عليها ، وعالة على الصحاح : فى أخذ المواد .

وإذا كان البرمكى قد تجاوز طريقة ابن فارس (فى مجمله) - من ناحية : عدم تقسيم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب ، ومن ناحية عدم بدئه بالهمزة فى كل باب - حيث كان يبدأ بالحرف الذى يلى اسم الباب - فإن هذا التجاوز ليس من اختراع البرمكى بل كان الفضل - فى ذلك - يعود إلى الله ثم إلى الجوهري فى صحاحه ، حيث أنه رتب مواده داخل الفصول ، بادئا بالهمزة ومنتها بالياء .

اندهاش بعض الباحثين من نسبة طريقة الألفبائية إلى البرمكى :

وقد دهش بعض الباحثين^(١) حين رأى الزمخشري فى مقدمة أساس البلاغة : يفيد أنه رتب كتابه على أشهر ترتيب متداول^(٢) ، ثم رأى أحمد عبد الغفور عطار يفيد أن البرمكى أسبق الناس إلى هذا الترتيب الجديد^(٣) .

ويلعل سر دهشته بأن السنوات القليلة التى تفصل زمن البرمكى والزمخشري - (البرمكى توفى سنة ٤٣٣هـ والزمخشري ولد سنة ٤٦٧هـ) - لا تؤهل - فى رأيه - لشهرة التداول التى أشار إليها الزمخشري .

وهذا يؤيد ما أذهب إليه ، إذ أن الأولى - بناء على ما سبق - أن تكون هذه الطريقة معروفة منذ ألف ابن فارس مجملته فى القرن الرابع - تقريبا - ثم ظل يشيع بين الناس بطريقته الجديدة ، حتى جاء الزمخشري فوجد طريقته من الذبوع والانتشار بمكان فسار على سبيله وإن كان قد تخطى - من طريقة ابن فارس - ما تخطاه البرمكى .

(١) د . عبد السميع محمد أحمد - المعاجم العربية : ص ١٣٥ .

(٢) أساس البلاغة (ط دار الكتب المصرية) : ص ٢ .

(٣) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات : ص ١٣٦ .

وهذا كله - أيضا - لا يدع مجالا لقول من قال : « إن الزمخشري هو صاحب أول ترتيب الفبائي يراعى الحروف الأصول »^(١) .
كما أن إفادته بأن ذلك « كان للمرة الأولى في تاريخ المعاجم العربية العامة »^(٢) ، لا محل لها من القبول ، بعد أن استبان لنا الحقائق واضحة كالشمس .

تناقض في القول :

وقد رأيت - في هذا الشأن - تناقضا عند أحد الباحثين - حيث قال^(٣) :
إن المجمل والمقاييس - لابن فارس - : قد ظهرا في أواخر القرن الرابع الهجري وكان ترتيب الكلمات فيهما هو الأول من نوعه ، إذ التزم المؤلف في كل منهما نظام الأبجدية . . وتعجب - هذا الباحث - من ابن منظور (٦٨٠ - ٧١١ هـ) لأنه لم يرتب (اللسان) على ترتيب المجمل بل رتبته على طريقة الصحاح^(٤) .
ثم وجدته - بعد صفحات قليلة - يناقض قوله هذا ، حيث قال^(٥) « إن ترتيب المفردات حسب الأبجدية العادية : قد التزم التزاما كلياً في المعاجم العربية لأول مرة حينما ألف الزمخشري كتابه : أساس البلاغة في القرن السادس الهجري » .

رأى بعض الباحثين الآخرين :

وحسنا فعل بعض الباحثين الآخرين ، حين جعلوا المجمل والمقاييس - لابن فارس - على رأس المدرسة الأبجدية^(٥) ، وإن كانوا لم يفرّدوا لهما من كتبهم أية

(١) د . حسين نصار - المعجم العربي : ٢ / ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

(٢) د . عبد الله درويش - المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين : ص ١٢٢ .

(٣) المرجع السابق : ص ٩٩ .

(٤) السابق : ص ١٢٦ .

(٥) انظر : المعاجم اللغوية - د . إبراهيم نجا (طبع السعادة ١٩٧٧ م) ص ١٧٢ ، والمعاجم -

الكتاب الأول - د . عبد الله العزازي (دار الطباعة المحمدية ١٩٦٩ م) ص ٢٧ ، ومعاجم اللغة

العربية - د . عبد الغفار هلال (ط ١٩٨٦ م) ص ١٧ .

صفحات تذكر^(١) - وصف باحث آخر^(٢) طريقة ابن فارس بأنها فريدة بين طرق أصحاب المعاجم ، ووسمها بالسهولة والبسر ، وأفرد للمجمل صفحات طوال من كتابه^(٣) .

هل كان أبو عمرو الشيباني صاحب فكرة الألفبائية ؟

أما بالنسبة لما ذهب إليه بعض الباحثين^(٤) من أن أبا عمرو الشيباني (ت ٢١٣ هـ) هو صاحب فكرة الألفبائية - في المعاجم العربية - في كتابه : الجيم : فإنني أوافقهما في شيء واحد هو : أن أبا عمرو نبه إلى هذه الفكرة ، حيث رتب مواد كتابه على حسب الترتيب الألفبائي ولكنه لم يراع - في هذا الترتيب - إلا الحرف الأول فقط ، وهذا شيء لا يسر على القارئ مهمته إلا من ناحية واحدة فقط هي : معرفة الباب الذى يضم الكلمة التى يبحث عنها .

أما أين يجد هذه الكلمة في خضم هذا الباب ؟ فهذا شيء لم يسره أبو عمرو لقارئ كتابه .

ولكن ابن فارس يسر الأمر في مجمله ، وسهل للناس طريقهم ، ووفر عليهم وقتهم ، حيث رتب المواد مراعى فيها : الأول والثاني والثالث ، على حسب الأبنية أو الأبواب التى قسم كتابه إليها .

وبذلك : يكون قد تحمل مشقات هذه الطريقة ، في سبيل تذليل الصعاب أمام القارئ ومن أجل توفير وقته ! أفلا يستحق - بعد هذا كله - أن يكون رائد المدرسة حقاً ؟!

(١) انظر : المراجع السابقة .

(٢) هو : د . أمين فاخر ، في كتابه : دراسات في المعاجم العربية (مط : حسان) : ص ٨٥ .

(٣) من ص : ٨١ إلى ص : ٩٨ .

(٤) انظر : المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد (ط ١ سنة ١٩٨٦ م) للدكتور : عبد المنعم

عبد الله ، والدكتور أحمد طه سلطان - ص ١٣٣ .

كلمة فى النهاية

وخلاصة ما يمكن قوله - فى هذا المجال - هو ما يلى :

أولا : كان أبو عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦ هـ) أول من نبه إلى الطريقة الألفبائية - على المستوى المعجمى اللغوى - وإن كان لم يتحمل مشاقها حيث لم يراع إلا الحرف الأول فقط .

ثانيا : جاء ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فحمل هذه المدرسة على كتفيه ، وتحمل مشاقها ، واجتاز عقباتها ، وسهل صعبها ، وذل متنها ، ورتب كلماتها ، حسب منهجه السابق الذكر^(١) .

ثالثا : أتى البرمكى (ت ٤٣٣ هـ) فسار - فى ترتيبه لكتاب الصحاح للجوهري (ت ٣٩٨ هـ) - على طريقة ابن فارس ، وإن كان قد عدل عن طريقة تقسيم الباب إلى ثلاثة أقسام ، وعن طريقة البدء بالحرف الذى يلى حرف الباب ، وأضحت طريقته : ترتيب المواد فى كل باب حسب أول حرف فيها ، مع مراعاة الحرف الأول والثانى والثالث والرابع . وقد ساعده على تحقيق ذلك المنهج : أن الجوهري كان قد رتب مواد - داخل الفصول - هذا الترتيب .

ابن فارس : صاحب مدرسة الألفبائية :

لكن : إذا أردت أن أرد الفضل إلى صاحبه - فى هذه المدرسة - فإن الفضل - بعد الله - يعود إلى ابن فارس ، لما بذل من جهود موفقة ، جعلت هذه المدرسة تقف على قدميها ، شاحخة وسط المدارس الأخرى ، بل تتقدمها من حيث السهولة ، واليسر المطلوبان فى أى معجم .



(١) انظر : ص ١٤٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

أساس البلاغة

للزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ)

تمهيد :

يعد معجم أساس البلاغة : أشهر معجم موجود بين أيدينا - طبق سري - مدرسة الألفبائية ، تطبيقا كاملا وسليما ، بعد أن تخطى الصعوبات التي كانت لا تزال في معجم مجمل اللغة ، ذلك الذي كان يعتمد على الأبنية أساسا ، ثم ترتيب الكلمات داخل الأبنية ترتيبا ألفبائيا ، مراعيها فيها الحرف الأول والثاني والثالث والرابع لأول مرة .

فقد تخطى الزمخشري - في أساس البلاغة - هذه الأبنية ، وحشد الكلمات داخل أبوابها ، التي تسمى باسم أول حرف في هذه الكلمات ، مراعي ترتيبها داخليا حسب الحرف الأول والثاني والثالث والرابع .

ولذلك كان من حقه علينا أن نلقى عليه وعلى كتابه بعض الضوء .

أولا : الزمخشري :

من هو ؟

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري - ولد بـ **زمخشري** - وهي قرية من قرى خوارزم - في يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة هجرية .

* انظر في ترجمته : معجم الأدباء - لياقوت الحموي : ١٩ / ١٢٦ - ١٣٥ ط دار المأمون ، وفیات الأعيان - لابن خلكان ٤ / ٢٥٤ - ٢٦٠ ط مطبعة السعادة سنة ١٩٤٨ م .

أخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني ، وأبي الحسن على بن المطهر النيسابوري ، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي ، ومن أبي سعد الشَّقَّاني (نسبة إلى شَقَّان : قرية من قرى نيسابور) .

إصابة رجله :

أصابه خراج في رجله فقطعها ، واتخذ رجلاً من خشب ، وقيل : أصابه برد الثلج في بعض أسفاره .

وحكى الدامغانى (المتكلم الفقيه) عن الزمخشري أن سبب قطع رجله : هو أنه في أحد أسفاره إلى بخارى لطلب العلم ، سقط عن الدابة ، فانكسرت رجله وأصابه من الألم ما أوجب قطعها .

مكانته العلمية :

كان واسع العلم كبير الفضل ، متفنناً في علوم شتى ، ومنها التفسير والنحو واللغة والأدب ، ولذلك قال عنه ابن خلكان^(١) : « كان إمام عصره من غير مدافع ، تشد إليه الرحال في فنونه » .

تصانيفه :

صنف الزمخشري ما يربو على اثنين وخمسين مصنفاً ، في التفسير والحديث واللغة والشعر والأدب^(٢) .

ومن أشهر تصانيفه : الكشف في تفسير القرآن ، والفائق في غريب الحديث ، والمفصل في النحو ، والقسطاس في العروض ، وأساس البلاغة في المعاجم .

(١) وفيات الأعيان : ٤ / ٢٥٤ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في : معجم الأدباء : ١٩ / ١٣٣ - ١٣٥ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٢٥٤ .

ثانيا : أساس البلاغة :

الهدف من تأليفه :

اختلف هدف الزخشرى عن هدف المعجمين السابقين عليه ، حيث كان هدفهم الأساسى : جمع ألفاظ اللغة وحصرها وترتيبها بين دفتى المعجم ، ثم شرحها شرحا يوضح معناها ، دون النظر إلى منزلتها الأدبية .

أما الزخشرى فإنه لم يهدف إلى ذلك أساسا ، وإنما هدف - بجوار ذلك - إلى : التفرقة بين المعانى الحقيقية والمعانى المجازية ، ولذلك غنى بالعبارة المركبة ذات المركز المميز فى عالم اللغة والأدب ، ومن ثمّ : فقد اقتبس نصوصا وتعبيرات برمتها ، من الكتب الأدبية ، لتوضيح ما ذهب إليه ، كما أورد الألفاظ فى استعمالها العربية البليغة ، ولم يأت بها مفردة عارية عن التركيب غالبا^(١) .

وقد نبه على ذلك ، فى مقدمته القصيرة ، التى كتبها بين يدى أساس البلاغة ، حين قال^(٢) :

ومن خصائص هذا الكتاب : تُخِيرُ ما وقع فى عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلّحين ، أو ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها ، من التراكيب التى تملح وتحسن ، ولا تنقبض عنها الألسن . . . ومنها : التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسوق الكلمات متناسقة لا مُرسلة بدادًا ، ومتناظمة لا طرائق قَدَدًا ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مرشد حر المنطق الدالة على ضالة المنطيق المفلق .

(١) انظر : المعجم العربى - د . نصار : ص ٦٩١ ، المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد - د .

عبد المنعم عبد الله ، د . أحمد طه : ص ١٨٠ .

(٢) أساس البلاغة : ص د - ط دار الكتب المصرية .

ومنها : تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح : بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح .

فهو - كما وضع من كلامه - : لم يعن باللفظة المفردة ، ولكنه عُنِيَ بالجملة المركبة التي استوفت شروط البلاغة والفصاحة ، وتميزت على غيرها من العبارات .

خدمة الشعراء والناثرين :

وقد خص الزمخشري كتابه بهذه الخصائص : ليكون معينا للشعراء والناثرين ، أصحاب القرائح الصافية ، والسلاطيق السليمة ، العارفين بقواعد العربية ، الآخذين بطرف من علم المعاني ، وبسبب من علم البيان ، والذين إذا طالعوا كتابه : سيفحلُّ نثرهم ، ويجزُل شعرهم ، ولم ييعدُ عليهم أن ييزوا من سبقوهم في هذا المجال ، كما قال الزمخشري في مقدمته^(١) .

مراجعته ومصادره :

ولهذا السبب - أيضا - فقد اختلفت مراجعته ومصادره عن مراجع ومصادر أصحاب المعاجم الأخرى ، إذ استقى مادة كتابه مما فصح من لغات العرب ، « وملح^(٢) من بلاغتها ، وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الحِلل^(٣) في نواديها ومن قراضبة^(٤) نجد في أكلائها ومراتعها ، ومن سماسة^(٥) تهامة في أسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قُلُبها^(٦) ، وتساجعت به

(١) انظر : أساس البلاغة : ١ / د .

(٢) أى : الجماعات .

(٣) الصعاليك أو اللصوص .

(٤) السمسار : المتوسط بين البائع والمشتري .

(٥) أى : آبارها .

الرعاة على شفاه عُلِّبها^(١) ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتة^(٢) وما تزاملت^(٣) به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة ، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر ، من روائع ألفاظ مُفَتَّنَةٍ وجوامع كلم في أحشائها مُجَتَّنَةٌ^(٤) .

ترتيب مواده :

أما عن ترتيب مواد كتابه فإنه لم يتحدث عن كيفية هذا الترتيب بل اكتفى بتبشير القارئ قائلا^(٥) :

« وقد رُتب الكتاب على أشهر ترتيب مُتداول وأسهله متناولا » .

وهذا يشعُرنا بأن ترتيب المواد ألفبائيا كان معروفا ومشهورا عند خروج كتاب الزمخشري إلى حيز الوجود ، كما اشتهرت وعرفت طرق الترتيب الأخرى ، كالتقليبات الصوتية والأبجدية ، والقافية .

ويبدو أن الزمخشري وازن بين طرق الترتيب المشهورة ، والمعروفة في عصره ، واختار منها أسهلها بدليل قوله : « وأسهله متناولا » .

وإن دل هذا على شيء : فإنما يدل على أن ترتيب المواد ألفبائيا ؛ كان مستقرا ومعروفا تماما في عصر الزمخشري ، ولذلك فإنه لم يشرح لقارئه طريقة ترتيب مواد كتابه ، ولم يشرحها له وهي معروفة لديه ؟ وكيفيه أن يطالع بعض المواد في كتابه حتى يعرف أى الطرق اختار الزمخشري وعلى أى السبل سار . . .
ولو كان الزمخشري هو مخترع هذه الطريقة : لشرحها لقارئه ، لأنها ستكون غير مألوفة لديه في هذا الوقت ، كما يفعل أصحاب الطرق والمذاهب والاتجاهات الجديدة دائما .

(١) أقداح من الخشب يُحلب فيها .

(٢) المعارضة في الشعر وإظهار التفوق .

(٣) الزمل : الرجز .

(٤) أى مخففة .

(٥) مقدمة أساس البلاغة : ص : د .

نموذج من أساس البلاغة^(١)

التاء مع الكاف

ت ك ك : فلان يَسْتَكُّ بالحرير ، من التَّكَّة .

التاء مع اللام

ت ل ب : اتلأب الطريق : اطرد واستقام ، ومروا

فاتلأب بهم الطريق . قال الخطيئة :

أَلَا طَرَقْنَا بَعْدَ مَا هَجَدُوا هِنْدَ وَقَدْ سِرْنَ خُمْسًا وَاتْلَأَبُ بَنَا نَجْدَ

وَاتْلَأَبُ أَمْرَهُمْ ، وَهَذَا قِيَاسٌ مُتَلَبِّبٌ .

ت ل ع : رجل أتلع : طويل العنق ، وامرأة تلعاء وجيدة

تليع .

قال الأصمعي ، قال الأعشى :

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جِيٍّ — تَلِيْعٌ تَزِيْهِهِ الْأَطْوَاقُ

وَأَتْلَعَتِ الظِّيَةُ : سَمَتْ بِجِيْدِهَا . قال ذو الرُّمَّة :

كَمَا أَتْلَعْتُ مِنْ تَحْتِ أَرْطَاةِ رَمَلَةٍ إِلَى ثَبَاةِ الصَّوْتِ الطَّبَّاءِ الْكَوَانِسُ^(١)

وَأَتْلَعْتُ فَلَانَةً فَتَطَّرْتُ : إِذَا أَطْلَعْتَ رَأْسَهَا .

وإنه ليتالع في مَشْيِهِ : إِذَا مَدَّ عُنْقَهُ ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ .

وَأَغْشَبَتِ التَّلَاعَ ، وَنَزَلْنَا بَتْلَعَةٍ كَذَا ، وَالتَّلْعَةُ مَكْرُمَةٌ

للنبات .

ومن المجاز : « ما يوثق بِسَيْلٍ تَلْعَتِهِ » ، مثل للكاذب .

وَتَلَعَّ الثَّهَارُ وَأَتْلَع : ارْتَفَعَ ، قَالَ :

• ص ٨١ ، ٨٢ ط دار الكتب المصرية .

(١) الأطباء الكوانس : المستترات في الشجر .

وكانهم في الآل إذ تَلَعَ الضحى سُنَّ تَعَوَّم قد أَلَيْسَتْ أَجَلًا
ت ل ف : السَّلَفُ تَلَفَ ، وأُتْلِفَ ماله ، وهو : مِتْلَافٌ
مِخْلَافٌ .

قال :
فَأُتْلِفَ وَأُخْلِفَ إِنَّمَا الْمَالُ غَارَةٌ وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ
وَوَقَعُوا فِي مِتْلَفَةٍ وَفِي مِتْلَافٍ .

ت ل ل : تَلَّهَ لِلْجَبِينِ . وَتَلَّ الشَّيْءُ فِي يَدِهِ : وَضَعَهُ فِيهَا .
وَلَهُ تَلِيلٌ كَجَذَعِ السُّحُوقِ : أَيْ عُنُقٍ .

وَتَلْتَلُهُ : أَرْعَجَةٌ ، وَهُوَ يُتْلَلُ الْأَقْرَانُ ، وَلَقُوا مِنْهُ
التَّلَلِيلُ .

ت ل و - مَا زِلْتُ أَتْلُوهُ حَتَّى تَلَوْتُهُ أَيْ سَبَقْتُهُ وَجَعَلْتُهُ
يَتْلُونِي . وَنَاقَةٌ مِتْلِيَّةٌ : يَتْلُوهَا وَلَدُهَا ، وَنَرَقٌ مِتْلِيَّاتٌ وَمِتَالٌ ،
وَعَرَبَتْ تَوَالِي النُّجُومِ .

وَتَقُولُ : تَوَالَتْ عَلَى الْأَوَالِي ، وَلِتَوَالِي عَلَى تَوَالِي .

وَهُوَ : تَلَوْ فُلَانٌ أَيْ : تَالِيهِ . وَفُلَانٌ يُصَلِّي وَيَتَلَّى :
إِذَا أَتَبَعَ الْمَكْتُوبَةَ النَّافِلَةَ . قَالَ الْبَغِيثُ :

عَلَى مَتْنٍ عَادِيٍّ كَأَنَّ أُرُومَهُ رَجَالٌ يُتْلُونَ الصَّلَاةَ حُشُوعًا

أَيْ : يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ لَا يَفْتَرُونَ ، وَالْأُرُومُ : الْأَعْلَامُ .

وَتَلَوْتَ الْقُرْآنَ ، وَالْقُرْآنُ خَيْرٌ مِتْلُوءٌ .

وَهَذِهِ تِلَاوَةٌ مَا عَلَيْهَا طِلَاوَةٌ .

وَتَلَا زَيْدٌ وَعَمَرُو يَتَالِيهِ ، أَيْ يُرَاسِلُهُ ، وَهُوَ رَسِيلُهُ
وَمِتَالِيهِ .

ومن الحجاز : ذهب ثَلِيَّةُ الشباب أَى : بَقِيَّتُهُ ، لأنها آخِره
الذى يتلوما تقدم منه . وعليك ثَلِيَّةٌ من الدِّين . قال ابن
مقبل :

يا حُرْ أُمِسْتُ ثَلِيَّاتُ الصَّبَا ذَهَبَتْ فَلَسْتُ مِنْهَا عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرُ
وفلان : بقية الكرام زَلِيَّةُ الأحرار . وأُثْلَى فلان على
فلان : أُثْبِعَ عليه أَى أُحِيلَ .

والتَّلَاءُ : الحَوَالَةُ . قال زهير :

جَوَارٌ شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَيْكُمْ وَسَيِّانُ الْكَفَالَةِ وَالتَّلَاءُ

وَأُثْلِيْتُ فَلَانًا سَهْمًا : إِذَا أُعْطِيَتْهُ سَهْمُ الْجَوَارِ ، ومعناه :
جعلته تلوه وصاحِبُهُ . وامْتَلَى فلان : طلب سهم الجوار .

ومن الكناية : تَلَوْتُ الإِبِلَ : طردتها ، لأن الطارد يتبع
المطروود قال ذو الرُّمَّة :

يتلو نَحَائِصَ أَشْبَاهَا مُحْمَلَجَةً صُحْرَ السَّرَاوِيلِ فِي أَحْشَائِهَا قَبَبٌ^(١)

وروى : يَقْلُوا . ويقال للحادى : التَّالَى ، كما يقال له :
القَالَى .

التاء مع الميم

.... إلخ .

ومن هذا التمثول يتبين لنا المنهج الذى سار عليه الزمخشري في معجمه أساس
البلاغة ، وهو أنه :

١ - كان يجرد المواد من زوائدها ، ويرد المقلوب إلى أصله ، والمخدوف إلى

(١) النحائص : الإبل السمينة - المُحْمَلَجَةُ : المفتولة الشديدة - صُحْرُ السَّرَاوِيلِ : مُعْبَرَةٌ فِي
حُمْرَةٍ - فِي أَحْشَائِهَا قَبَبٌ : أَى ضَمُورٌ فِي الْبَطْنِ .

مكنه ، ثم برتبها ترتيباً ألفبائياً ، مراعيًا فيها الحرف الأول والثاني ثم الثالث .
فهو في التوذج الذى بين أيدينا : أنى بما أوله تاء وكاف ثم أعقبه بما أوله :
تاء ولام ، ثم بما أوله : تاء وميم .

ونجده يرتب المواد - داخل الباب - ترتيباً ألفبائياً كذلك . .

ففى باب التاء مع اللام وضع أول مادة فيه : تلب ثم أعقبها بـ

ت ل ع - ت ل ف - ت ل ل - ت ل و .

وكل ذلك دون حدوث اضطراب فى ترتيب المواد أو الأبواب .

٢ - كان لا يشرح المادة بل يعتمد إلى وضعها فى جملة تبين معناها كقوله فى
(ت ل و) : « ما زلت أتلوه حتى تليته ؟ أى سبقته وجعلته يتلونى »
ففهم من هذا أن (تلاه) بمعنى : اتبعه وسار فى أثره حتى سبقه وجعله
تالياً له أى تابعاً له .

٣ - كان : يستشهد على ما يقول بأشعار العرب سواء منها ما عرف قائلها أم
لم يعرف ، فإذا عرفه فإنه يصرح باسمه ، كقوله (فى التوذج السابق) :
قال البعيث ، قال ذو الرمة .

وإذا لم يعرفه فإنه يقول : « قال » ، كما حدث فى (ت ل ع) فإنه
قال : « وتلع النهار وأتلع : ارتفع . وقال :

وكأنهم فى الآل إذ تلع الضحى البيت

٤ - وكان إذا وجد فى الكلمة أكثر من وجه من وجوه النطق : فإنه يشكلها
حسب الأوجه التى فيها ، كقوله : « وهذه تلاوة ما عليها طلاوة » فقد
شكل الطاء من (طلاوة) بالضم والفتح والكسر ليُعلم أن فيها ثلاثة أوجه .

٥ - كان أحياناً يفسر الكلمات الغامضة فى الشواهد التى يستشهد بها ، كقوله
فى (تلو) :

قال البعيث :

على متن عَادِي كَأَنَّ أَرْوَمَهُ البيت

والأُروم : الأعلام

وأحيانا أخرى : كان لا يفسر الكلمات الغامضة في شواهد كذا في قوله :

قال ذو الرمة :

يتلو نَحَائِصَ أَشْبَانًا مَحْمَلَجَةً صُخْرَ السَّرَاوِيلِ فِي أَحْشَائِهَا قَبْ

فمعظم هذا البيت غريب الألفاظ وكان يحتاج منه إلى تفسير وتوضيح ، لكنه لم يزد على أن ذكره فقط .

٦ - كان ينص على المجازات والكتابات التي تكون في المواد وذلك كقوله في (ت ل و) : « ومن المجاز : ذهبْتُ ثَلِيَّةُ الشَّبَابِ أَيْ : بقيته ، لأنها آخره الذي يتلو ما تقدم منه » .

وقوله - في نفس المادة - : « ومن الكناية : تَأَيَّتِ الْإِبِلُ : طردتها ، لأن الطارد يتبع المطرود .

٧ - كان يأتي ببعض آيات القرآن الكريم ولا ينص عليها (أحيانا) كقوله في (ت ل ل) : تله للجين وأيضا : يأتي ببعض الأمثال ولا ينص عليها (أحيانا) كقوله في (ت ل ف) : السُّلْفُ تَلَفٌ ، وفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، كقوله في عجم : « جُرْحُ الْعَجَمَاءِ جُبَارٌ » ، وأحيانا أخرى كان ينص على أمثال هذه النصوص وينبه إلى أنها : من القرآن الكريم ، أو من الحديث الشريف أو من الأمثال العربية التي امتلأ بها كتابه .

٨ - إذا تتبعنا الكتاب كله وجدنا الترغشرى يقسمه إلى أبواب بعدد حروف الهجاء ، ويرتب هذه الأبواب حسب ترتيب هذه الحروف بادئا بباب الهمزة ومنتهيا بباب الياء ، ولم يختل منه الترتيب إلا حين قدم باب الواو على باب الهاء^(١) .

(١) انظر : أساس البلاغة : ٢ / ٤٨٨ ، تجد باب الواو ، ثم انظر ص ٥٣٢ تجد باب الهاء .

٩ - أما في داخل كل باب : فقد حشد كل الألفاظ التي تبدأ بذلك الحرف المعقود له الباب .

فباب الهمزة حشد فيه الألفاظ التي تبدأ بحرف الهمزة ، وباب الباء ، حشد فيه الألفاظ التي تبدأ بحرف الباء وهكذا .

١٠ - وفي داخل كل باب : رتب المواد حسب الحرف الأول والثاني - فيما يشبه الفصول وإن لم ينبه إلى ذلك ولم يذكر كلمة فصل - ثم راعى الثالث والرابع .

ففي باب التاء - مثلاً - يذكر ما يلي :

التاء مع الهمزة ، ثم التاء مع الباء ، ثم التاء مع الجيم ثم التاء مع الحاء . .
وهكذا إلى نهاية الباب .

وفي (التاء مع الباء) رتب الكلمات التي تبدأ بهذين الحرفين حسب الحرف الثالث معهما ، فذكر :

ت ب ب - ثم ت ب ث - ثم ت ب ر - ثم ت ب ع - ثم ت ب ل - ثم ت ب ن - وهكذا في بقية المواد ، مما يدل على إحكامه لذلك النظام إحكاماً شديداً .

هـنات و مأخذ :

وهذا لا ينفي أن هناك هناتٍ ومآخذ على هذا المعجم^(١) . . ولكنها في مجملها يمكن أن تحدث في كثير من المعاجم .

فضله :

ويكفيه فضلٌ توجيه حركة المعاجم التي جاءت بعده إلى العبارات الأدبية

(١) انظر : المعجم العربي : ص ٧٠٩ .

البليغة ، بدلا من الاختصار على الألفاظ المفردة ، وفضل العناية بالعبارات المجازية المختلفة الأنواع ، وتوجيه العناية إليها في ذاتها ، لا كما كان يفعل من كانوا قبله^(١) .

وكذلك فضل السير بمدرسة الألفبائية إلى أن وصل بطريقتها إلى القمة ، فذاعت وانتشرت وألفت بها كثير من المعاجم التي جاءت بعده ، وسارت على نهجه .

ومن أشهرها :

أولا : المعاجم اللبنانية :

- ١ - محيط المحيط - لبطرس البستاني - ت ١٨٨٢ م .
- ٢ - أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد - لسعيد الشرتوني - ت ١٩١٢ م .
- ٣ - المنجد في اللغة - للويس معلوف اليسوعي - ت ١٩٤٦ م .

ثانيا : معاجم مجمع اللغة العربية :

- ١ - المعجم الكبير ، الذي هدف إلى تدوين الثروة اللغوية دون التقييد بعصر الاحتجاج اللغوي ، مع إبراز التطور التاريخي للغة عبر العصور .
 - ٢ - المعجم الوسيط ، الذي هدف إلى : السهولة ، وإحكام الترتيب ، مع جمع المصطلحات العلمية الصحيحة ، والتنبيه على الدخيل على اللغة والمعرب والمولد والمجمعي (الذي أقره مجمع اللغة العربية) .
 - ٣ - المعجم الوجيز ، الذي هدف إلى تلبية حاجة الطلاب في وجود معجم مدرسي وجيز ، مكتوب بروح العصر ولغته^(٢) .
- وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين

(١) انظر : المعجم العربي : ص ٧١٠ .

(٢) انظر : المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد : ص ١٨٩ - ٢٣٥ .

11

12

13

ثبت بالمراجع والمصادر

أولا : المخطوطة

- ١ - غريب الحديث - أبو عبيد القاسم بن سلام - مخطوط رقم ١٢٤ حديث - دار الكتب المصرية .
- ٢ - الغريب المصنف - أبو عبيد القاسم بن سلام - مخطوط رقم ١٢١ لغة - دار الكتب المصرية .
- ٣ - كتاب البارغ في اللغة - مصورة فولتون - دار الكتب المصرية .

ثانيا : المطبوعة

- أ -

- ٤ - الإتقان في علوم القرآن - السيوطي - نشر : مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- ٥ - إرشاد الطالب - للشيخ عمارة وآخر - ط . مطبعة السعادة بمصر .
- ٦ - أساس البلاغة - الزمخشري - ط . دار الكتب المصرية .
- ٧ - الأعلام - الزركلي - ط ٢ - دار العلم للملايين - بيروت .
- ٨ - إنباه الرواه - للقفطي - بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢ م .

- ب -

- ٩ - البحث اللغوي عند العرب - د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب بمصر .
- ١٠ - بغية الوعاه - السيوطي - بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط . عيسى الحلبي بمصر .

١١ - البلغة في شذرات اللغة - نشر : أوجست هفنز ولويس شيخو - مط
الكاثوليكية بيروت .

- ت -

- ١٢ - تاريخ بغداد - البغدادي - مط : السعادة ١٩٣١ م .
١٣ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - بتحقيق : السيد أحمد صقر .
١٤ - تاج العروس - الزبيدي - دار صادر - بيروت .
١٥ - تفسير الطبري - بتحقيق : محمود محمد شاكر - دار المعارف
بمصر .
١٦ - تفسير غريب القرآن - ابن قتيبة - بتحقيق : السيد أحمد صقر - دار
إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٥٨ م .
١٧ - تهذيب اللغة - الأزهري - بتحقيق : عبد السلام هارون - دار القومية
العربية للطباعة ١٩٦٤ م .

- ج -

- ١٨ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٩ - جمهرة اللغة - ابن دريد - ط . حيدر آباد - الهند سنة ١٣٤٤ هـ .

- د -

- ٢٠ - دراسات في المعاجم العربية - د . أمين فاخر - مط . حسان .
٢١ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - السيوطي - المطبعة الإسلامية
ببغداد .

- س -

- ٢٢ - سر صناعة الإعراب - ابن جني - بتحقيق : مصطفى السقا وآخرين -
ط . مصطفى البابي الحلبي بمصر .

- ص -

- ٢٣ - الصحاح : للجوهري - بتحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربي بمصر .
- ٢٤ - الصحاح ومدارس المعجمات العربية - أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربي بمصر .
- ٢٥ - صحيح البخارى - بشرح الكرمانى - ط . المطبعة البهية المصرية .

- ض -

- ٢٦ - ضحى الإسلام - أحمد أمين - ط ٨ - مكتبة النهضة العربية .

- ط -

- ٢٧ - طبقات الشافعية - للسبكي - بتحقيق : محمود الطناحي وآخر - ط . عيسى البابى الحلبي بمصر .
- ٢٨ - طبقات النحويين واللغويين - الزيدى - بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ٢ دار المعارف بمصر .

- ع -

- ٢٩ - العين - للخليل بن أحمد - بتحقيق : د . عبد الله درويش - نشر الأنجلو بمصر .
- ٣٠ - العين - للخليل بن أحمد - بتحقيق : د . مهدى المخزومي وآخر - نشر مؤسسة الأعلمى . بيروت .

- ف -

- ٣١ - فتوح البلدان - البلاذرى - ط . ليدن ١٩٦٨ م .

٣٢ - الفكر المعجمى عند العرب - د . عبد المنعم عبد الله وآخر - ط .
الرسالة بمصر .

٣٣ - الفهرست - للنديم - بتحقيق : رضا تجدد - ط . طهران .

٣٤ - فهرس المخطوطات المصورة - فؤاد سيد - ط . دار الرياض - القاهرة .

- ق -

القاموس المحيط - الفيروزبادى .

- ك -

٣٦ - كتاب النوادر - أبو مسحل الأعرابى - بتحقيق : د . عزه حسن - ط .
مجمع اللغة العربية بدمشق

٣٧ - كتاب النوادر فى اللغة - لأبى زيد بن سعيد - بتصحيح : سعيد
الخورى - مط . الكاثوليكية - بيروت سنة ١٨٩٤ م .

٣٨ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - حاجى خليفة . ط . وكالة
المعارف الجليلة ١٩٤١ م .

- ل -

٣٩ - لسان العرب - ابن منظور - طبعات مختلفة .

- م -

٤٠ - مجمل اللغة - ابن فارس - بتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان -
مؤسسة الرسالة - بيروت .

٤١ - المحكم والمحيط الأعظم - ابن سيده - بتحقيق : مصطفى السقا
وآخر - ط . الحلبي بمصر سنة ١٩٥٨ م .

٤٢ - المخصص - ابن سيده - المكتب التجارى للطباعة - بيروت .

٤٣ - الزهر في علوم اللغة - السيوطي - بتحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين - دار التراث بمصر .

٤٤ - المعاجم - الكتاب الأول - د . عبد الله العزازي - دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٩٦٩ م .

٤٥ - المعاجم العربية - الكتاب الأول - د . عبد السميع محمد أحمد - دار الفكر العربي بمصر .

٤٦ - المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد - د . عبد المنعم عبد الله وآخر - ط ١ سنة ١٩٨٦ م .

٤٧ - المعاجم اللغوية - د . إبراهيم شيا - مط . السعادة بمصر ١٩٧٧ م .

٤٨ - معاجم اللغة العربية - د . عبد الغفار هلال - ط ١٩٨٦ م .

٤٩ - معجم الأدباء - ياقوت الحموي - ط . دار المأمون .

٥٠ - معجم البلدان - ياقوت الحموي - مط . السعادة بمصر .

٥١ - المعجم العربي - نشأته وتطوره - د . حسين نصار - ط ٢ مكتبة مصر بالفجالة .

٥٢ - معجم ببائل العرب - عمر رضا كحالة - المكتبة الهاشمية بدمشق .

٥٣ - المعجم الوسيط - نشر : مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٥٤ - الموسوعة العربية الميسرة - نشر : دار القلم بمصر .

- ن -

٥٥ - نزهة الألباء - للأبنباري - ط في مصر سنة ١٢٩٤ هـ .

٥٦ - النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير - بتحقيق : طاهر الزاوي

وآخر - دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٦٣ م .

- ه -

٥٧ - هدية العارفين أسماء المؤلفين - إسماعيل باشا البغدادي - ط استانبول

١٩٥٥ م .

محتويات الكتاب

الموضوع

بين يدي الكتاب	٣
الباب الأول : المعاجم : ما هي : وكيف نشأت ؟	١٩ - ٥
الفصل الأول : المعاجم اللغوية : ما هي ؟	١٠ - ٥
الفصل الثاني : نشأة المعاجم عند الأمم القديمة	١٤ - ١١
الفصل الثالث : نشأة المعاجم عند العرب	١٩ - ١٥
الباب الثاني : بواكير المعاجم العربية	٨٠ - ٢١
الفصل الأول : غريب القرآن الكريم	٣٥ - ٢١
الفصل الثاني : غريب الحديث الشريف	٥٠ - ٣٧
الفصل الثالث : معاجم الموضوعات	٨٠ - ٥١
المرحلة الأولى : الرسائل اللغوية	٥١
المرحلة الثانية : الرسائل ذات الموضوع الواحد	٦٢
المرحلة الثالثة : الكتب ذات الموضوعات المتعددة	٦٦
- الغريب المصنف لابي عبيد	٦٦
- المختص لابن سيده	٧٠
الباب الثالث : معاجم الألفاظ	١٨٣ - ٨١
الفصل الأول : مدرسة التقليبات الصوتية	١١٨ - ٨٣
العين - للخليل بن أحمد	٨٣
البارع - للقالبي	١٠٠
تهذيب اللغة - للزهري	١٠٢
المحيط - للصاحب بن عباد	١١٤
المحكم والمحيط الأعظم - لابن سيده	١١٥

١٢٩ - ١١٩ الفصل الثاني : مدرسة التقليلات الهجائية
١١٩ جمهرة اللغة - لابن دريد
١٣٩ - ١٣١ الفصل الثالث : مدرسة القافية
١٣٣ تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري
١٣٧ المعاجم التي حذت حنو الصحاح
١٨٣ - ١٤١ الفصل الرابع : مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائي
١٤١ مجمل اللغة - لابن فارس
١٧٢ أساس البلاغة للزمخشري
١٨٣ أشهر معاجم هذه المدرسة
١٨٩ - ١٨٥ ثبت بالمراجع والمصادر
١٩٢ - ١٩١ محتويات الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٩٢/٩٧٤٣

I.S.B.N

977-00-4016-9